



أحمده وأستعينه وأستغفره وأصلي وأسلم على صفوة خلقه النبي المصطفى وعلى
آله الأكرمين وصحبه أجمعين.

أخي الدارس المختص

تحية وبعد:

فهذا أصل كتاب لي عرضت فيه في استقراء «لأدب النخل»، واجتزأت بالنخل عن
عامة الشجر اقتفاءً بالمعري الذي وسم النخل بـ«أشرف الشجر المقتنى» وفي رواية
«سيد الشجر»، ثم واصلت المسيرة فكان لي فصل وسمته بـ«أدب النخل والتمر» في
المثل القديم.

ثم رأيت أن يكون من تمام ما أنا فيه أن أبسط «معجم النخل»، وقد عرض لي أن أعرج
على ما كان لبعض المغاربة من هذا في رسالة بدر الدين القرافي المالكي التي وسمها بـ«توالي

الْمِنْحَ فِي أَسْمَاءِ ثَمَارِ النَّخْلِ وَرَتَبَةِ الْبَلَحِ» مع دراسة لهذه الرسالة وما كان منها
ولا يفوتني أن أشير إلى هذه الفوائد بما كان من معجم النَّخْلِ «الذي استقرته، وما
كان للمعرّي العظيم من معجم في الحيوان والنبات والشجر والبيئة» الذي استقرته
من تراث المعري.

إبراهيم السامرائي

مقدمة

كان لي بعض لفيف مؤتلف ضمّ شيئاً من أدب النخل وغيره من النبات كما ضمّ شيئاً آخر مما يتصل بالحيوان.
وقد خصصت النخل بشيء واف في هذا المجموع الإيماني بما قال أهل العلم ومنهم أبو العلاء في لامية له:

كلفنا بالعراق ونحن شرخٌ فلم نلّم به إلا كهولاً
وردنا ماء دجلة خير ماءٍ وزرنا أشرف الشجر النخيلاً
وإني لمطمئن أن هذا المجموع سيحظى برضا المعنيين من أهل العلم.

من أدب النخل

أقول عُرِف النخل في بلاد العرب منذ أقدم العصور، ومن أجل هذا ظهرت النخلة في نقوش البابليين والآشوريين والمصريين مشيرةً إلى الخصب والنماء وإلى ما يتصل بهذه «الشجرة» المباركة شأنها شأن شجرة الزيتون التي كان لها في الكتب المقدسة مكان وأي مكان. لقد رأى النخلة علماء التاريخ والآثار فلم تنل من اهتمامهم غير الذي أشارت إليه في حقيقتها ودلالاتها.

ولكن هؤلاء المحمولين على الدرس الأدبي في عصرنا حملوها على ما خيل إليهم مما لفقوه فكانت لديهم «النخلة الأسطورة»^(١) كما فعلوا مثل هذا مع «الثور» في

(١) أقول: شغف المعاصرون من أصحاب الأدب الجديد من العرب شعراء ونقاد «الأسطورة» حتى كانت لديهم من أصول ما يُسمّى «القصيدة الحديثة». وراح الشاعر هنا وهناك من «الأساطير» مما سمعه أو قرأه، وربما أخطأ في سمعه وقراءته وأسقطها في كلماته ليزيدها إغماضاً، وهو يستهدف خطف بصر القارئ ويصيرته. إنك تجد من هذا ما هو شرقي قديم عرفه البابليون والآشوريون والمصريون والفينيقيون وغيرهم، وما هو غربي إغريقي وروماني. ولا تعدم أن تجد شيئاً نصرانياً أو إسلامياً أو غير هذا وذاك.

وربما كان جرّاء هذا أن صارت القطعة لدى «السياب» وآخرين من أصحاب مجلة شعر اللبنانية حيزاً لكلمات أعجمية تدعى أسطورة. إن هذه «القطعة» أو القصيدة تدفعك إلى ما تشتمل عليه «صيدلية»

النقوش الآشورية حين وجدوا صورته «ثوراً ذا جناحين ممثلاً منحوتاً من حجر قديم في آثار نينوى في حاضرة الموصل في العراق، ثم بدا لهم أن يفعلوا مثل هذا في تفسيرهم «للثور» في الأدب العربي القديم^(١)، لقد جهل هؤلاء أن للثور في العربية دلالة أخرى غير الحيوان المعروف وقد يكون لي أن امهد لما أنا فيه بهذا وغيره من اشتات أساء فهمها المعاصرون للوصول إلى غاية ابتدعوها وهي «الأسطورة».

وأعود إلى «النخلة» في أدبنا القديم فأجدها تلك الشجرة التي أحاطها العربي القديم في بدوه وحضره بعنايته الفائقة فشغلت مكاناً أي مكان في أدبه تجاوز حيز فائدة ذلك العربي في قوته وعيشه. ولم يبق شيء هؤلاء الدارسين الجدد أن يضربوا في أوهامهم فيحسبوا أن النخلة في أدبنا القديم ضرب من «أسطورة». إن «الأسطورة» التي هُرع إليها هؤلاء الدارسون طبعت على أبصارهم وبصائرهم غشاوة، فلم يكن لهم أن يدركوا الحقائق، ألا تراهم أنهم حسبوا سائر الشجر في أدبنا القديم رموزاً تخيلوها ليس لها من «رمزيّتهم»، المزعومة أي شيء. إن «السرحة» القديمة، و«البانة

=عصرنا مما يدعى «عجوات» العلاجات الحديثة.

أقول: كأن هؤلاء جاءوا إلى «أسطورتهم» فاقبسوها مما ورد في لغة التنزيل العزيز في قوله -تعالى-: «أساطير الأولين» ولم يشقوا في تعقب هذه الكلمة، بل حملوها كما خيل إليهم على أنها جمع «أسطورة» لقد فاتهم أن «أساطير الأولين» جاءت في لغة التنزيل في معرض النيز، وأنها جمع الجمع «سطر». إن جمع الجمع في العربية بناء أريد به خصوصية «رجال» و«بيوتات» ذات دلالة خاصة لا نجدها في «رجال» و«بيوت» وكذلك «الفيوضات» في لغة الزهاد، و«الحسومات» و«القبوضات» في لغة الصيارفة في عصرنا. وعلى هذا أريد بـ«أساطير الأولين» كتاباتهم التي وسمت بالكذب والتلفيق، فإن كان فيها حكاية فذلك ليس ضرورة.

أقول: وقد اشتق اللغويون من «أساطير» مفرداً فجعلوه «أسطورا» و«أسطورة» و«أسطيرا» وغير ذلك، وهذا من صنعتهم في كل كلمة صرفت إلى الجمع، ولم يُسمع لها مفرد.

(١) أقول: و«الثور» هذا الحيوان الذي ورد في قول الشاعر أنس بن مدرك الخثعمي:

إنني وقتلي سليكاً ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر

وقالوا: إنهم يضربون الثور لأن البقر تتبعه فإذا عاف الماء عافته، فيضرب ليرد فترد معه.

وقيل: عنى بالثور الطحلب لأن البقار إذا أورد القطعة من البقر فعافت الماء وصدها عنه الطحلب ضربه ليفحص عن الماء فتشربه.

أقول: ومن معاني «الثور» السيد، وبه كني عمرو بن معد يكرب «أبا ثور» وقول عليّ ؓ: «أكلت يوم أكل الثور الأبيض»، عنى به عثمان ؓ لأنه كان سيداً وجعله «أبيض» لأنه كان أشيب.

الغينة» و«الأثلاث» و«السدر» و«الضال» وغير هذا شجر قائم على سوقه، لقد كان للشاعر القديم وقفة فيه فكان له فيه مما ندعوه في عصرنا «ذكريات».

ولي أن أقف على أشنات من شجر بلاد العرب لأشير إلى أنها من مواد أدبهم التي اتصلوا بها اتصال حياة فيه فائدة فكانت شيئاً منهم لا تنصرف إلى غير حقيقتها وإلى ما يكون لهم فيها من فائدة وهذا لا ينفي إن كان في شيء منها بعض توجه من قدسية^(١).

فإذا كان لي أن أعرض «للأثل» أجده من شجر بلاد العرب الذي صرفوه إلى مادة أدبية، قالوا: إنه شجر طوال ليس فيه شوك. وقالوا: إن منبر رسول الله ﷺ من أثل الغابة، وهو أصول غليظة تسوى منها الأبواب.

وقد لمح العرب في هذا الشجر ذي الأصول في الغابة معنى «الأصل» فكانت «أثلة» كل شيء أصله، قال الأعشى:

أَلَسْتُ مُتَّهِياً عَنْ نَخْتِ أَثْلَتْنَا وَلَسْتُ ضَائِرَهَا مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ
وقالوا: مَالِ (أثيل)، وَنَسَبَ أَثِيلٌ وَمُؤْتِلٌ.

وقد شبَّه الشعراء المرأة ب«الأثلة» لاستوائها وحسن اعتدالها وقوامها، وقد كان أن رأيت ما نسب إلى «المجنون» في «ليلاه».

بِاللّهِ يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مَكْنِ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ^(٢)

(١) أقول: وفي بعض نقوش شمالي الجزيرة العربية ظهرت «النخلة» وأفاد منها أهل العلم باللغات النمودية واللحسانية والقبطانية وما تومى إليه من معنى البركة والنماء والقدسية.

أقول: ولعل بهذا ندرك دلالة ما سمع من الحديث الذي لم يشهد به أهل الجرح والتعديل وهو: «أوصيكم خيراً بعمتكم النخلة».

(٢) أقول: مثل هذه «الوقفة» وقفة الشاعر وضاح اليمن في قوله:
أَيَا نَخْلَتِي وَادِي بُوَانَةَ حُبّاً إِذَا نَامَ حَرَّاسُ النَّخِيلِ جَنَّاكَمَا

وقد روي البيت: بالله يا أثلاث القاع^(١)

ومن هذا الشجر أو النبات «الأسل» وهو ما له أغصان كثيرة دقاق بلا ورق وإنما القنا والرماح «أسلاً» تشبيهاً بطوله واستوائه، ومن هذا قالوا: أسيلة الحذّ وأنت ترى أن «الأثلاث» و«الأسل» لم يبتعدا عن حقيقتهما، ولم يُصرفا إلى ما توهمه الأساتيد المعاصرون من دلالة القدسية أو نحو هذا.

ومن هذا «البان» وواحدته «بانة» وهي ذات ساق فيه طول واستواء، ولذلك كنوا بالبانة عن الفتاة الرشيقة، قال امرؤ القيس:

بَرَهْرَهْ رُوْدَةٌ رَخْصَةٌ كَخَرْعُوْبَةِ الْبَانَةِ الْمَنْفَطِرِ

ثم إنهم توجهوا لهذه الشجرة فخطبوا فيها رقّة وأدب فقال القائل:

«سَلِ الْبَانَةَ الْغَيْنَاءَ بِالْأَجْرَعِ الَّذِي»

وهذا هو أدبهم مع النخلة كما سنرى.

ومن هذا الشجر «السَّرْحَةُ» التي كان لها مكان في الأدب القديم. وهي ذوحة محلال واسعة يحلّ تحتها الناس في الصيف، وأنشدوا:

فِي سَرْحَةِ الرُّكْبَانِ ظِلُّكَ بَارِدٌ وَمَاؤُكَ عَذْبٌ لَا يَجِلُّ لَوَارِدِ

و«السَّرْحُ» شجر عِظَام طَوَال لَا يُرْعَى وَإِنَّمَا يُسْتَظَلُّ فِيهِ.

ومن هذا أيضاً «السُّدْر» وهو شجر النبق، لا شوك فيه، والسدر البري يُسَمَّى الضال، وفيه شوك، وكلاهما وردا في الأدب القديم.

(١) أقول: إن دلالة «القاع» في قول الشاعر القديم «ظبيات القاع» أو «أثلاثه» معروفة، فلم يكن لأستاذ في الأدب في عصرنا مختص بالأدب الجاهلي أن يعيب على شوقي «الشاعر قوله في «نهج البردة»: «ريم على القاع» وكان دلالة «القاع» لدى أستاذ الأدب هذا ما يكون مما يصرفه عوام العراقيين وغيرهم إليه.

ومن هذا «السَّمُر»^(١) هو شجر الطَّلح، والواحدة سَمُرة، والجمع سَمُرات.

وقال أبو العلاء المعري:

يا ساهِرَ البرقِ أيقظ راقِدَ السَّمُرِ لعلَّ بالجَزَعِ أعواناً على السَّهَرِ

أقول: ثم خلف في آخر الدهر أحمد شوقي فقال:

يا نائح الطَّلح أشباه عوادينَا نَشَجَى لواديك أم نأسى لوادينا

لقد أحبَّ العرب بيتهم وما يشخص من شجر ونبات حتى أعاروا أسماءها إليهم فسمَّوا بـ«سَمُرة» أبناءهم، وكان منهم «سَمُرة بن جُنْدَب» من رواة الحديث. وسمَّوا بـ«طَلحة» رجالاً كثيرين منهم طَلحة بن عُبَيْدالله الحُزاعي الذي ذكره ابن الأثير والذي اشتهر بـ«طَلحة الطَّلحات».

وكان للشجر مكان عظيم فقد اشتهرت لديهم «أُم غَيْلان» للطَّلح الذي ينبت في الجبل، وقد ذكرها ابن الأثير في «المرصع»^(٢)، وفيها قال الراجز:

يا أُم غَيْلان لقيتِ شراً

لقد فجعتِ آمناً مُغْتبراً

و«الغَيْل» أجمّة الأسد.

(١) لي مع «السَّمُر» نكتة لطيفة وقفت عليها في شعر محمد مهدي الجواهري في قصيدته التي أنشدتها في الذكرى الألفية للمعري التي كان فيها شعر للشاعر اللبناني بشارة الخوري، وشعر جميل للشاعر بدوي الجبل. أقول: بدأ الجواهري قصيدته ثم راح فيها يومئذ إلى قصائد المعري التي هَوَّيها واستحسنها، وكان منها «زنجية الليل» يومئذ بها إلى قول المعري: «ليلتي هذه عروس من الزَّنج . . .».

ثم قال: «وساهر البرق والسَّمُر» يوقظهم وقد أخطأ في قراءة «السَّمُر» فكانت لديه «السَّمُر» لقد غاب عنه النكتة الفنية في قول المعري: يا ساهِرَ البرق أيقظ راقِدَ السَّمُرِ.

أقول: ومن التصحيف عجائب، ولكل جواد كبوة.

(٢) المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات .. من كتيبي المحققة وهو مطبوع لمجد الدين بن الأثير.

وقالوا: روضة غناء، وكأنها تغن^(١) أطيّارها، وليس كما في المعجم القديم من أن الريح فيها غير صافية من كثافة عشبه والتفافه.

وفي عامة ما كان من نبات وشجر أدب أصيل استوحوه فنّاً جيلاً، وليس «رمزاً أسطورياً».

وأقول: لقد بسطت القول في «تمهيدي» لأوصله بمادة البحث التي هي «أدب النخيل» لأخذ القارئ معي فأدّله على أن العربي القديم في بدوه وحضره قد أحبّ بيئته فكان له من نباتها وشجرها وناقتهما وجلها وسائر ما يحيط به من شخوص ما يألّفه ويراه بعض إلفه. لقد خاطب هذه الشخوص من نبات وشجر خطاب العاقل، وكأنه يدرك ما يكون منها وخاطب الناقه والجمل خطابه لإلفه، وكأنه أحسنّ ما تشعر به راحلته فقد كان منه ما أنا واجده في قول المتنبي عائدأ من مصر محمومأ:

«وكلّ بُغام رازحة بُغامي»

و«البُغام» صوت الإبل الرازحة التعبى في سيرها. إنه نسب «البغام» إليه، وهو بهذا قد أفرغ من «إنسانيته» على راحلته.

أقول: فليس غريباً أن نجد الشاعر القديم يقف على الرُسم والطلل يبكي الإلفَ الراحل، ويكون منه ما كان. أبعد هذا يزعم معاصروننا من الدارسين والنقاد أن وقفة امرئ القيس وزهير وسواهما من الشعراء وقفة رمزية، وأن «الرسم» و«الطلل» لا يدلان على حقيقتهم، وأن الشاعر القديم ممتحن بالوجود والعدم؟ ثم يكون على هذا ما عُرِف من أسماء النساء من فاطم وعنيزة وأم أوفى وسلمى وسواهنّ شيء مما استحدثوه من كلم جديد هو «عرائس الشعر».

أقول: ما بال أصحابنا لم ينظروا إلى وقفة الشاعر الأموي الذي لم يعرف عنه التقليد

(١) أقول: «غنّ يغنّ» المضاعف هو الذي حوّلته العربون إلى «غنّى» فعلاً ناقصاً، وليس عسيراً علينا الوصول إلى «غِنَاء».

بل عُرف عنه حديث الحب الذي أثبتته الدارسون لتلك الحقبة من الزمن من رجال الأدب؟ لقد وقف جميل بثينة كما وقف كثير وكما وقف الآخوص وسواهم.

إن الشاعر القديم قد خاطب الطلل حتى كأنه وعى جوابه فقال:

وأبكيه حتى كاد مما أثَّبه تُكَلِّمَنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ

أقول بعد هذه الإمامة إن الشاعر القديم أخلص لما هو فيه، لقد أخلص للناقة والجمال كما أخلص للأثل والسُّمر والنُّخل، وها أنذا أعرض لما كان منه مع النُّخل فأقول: عرف العرب النُّخل وقد أشارت «الكتابات المقدسة» إليه كما عرف «الزيتون» لبركته وما يكون منه^(١) وقد كان لي وقفات في «معجم العهد القديم» وما كتبه الرسل والقديسون عن هذه الشجرة المباركة وهي «الزيتونة» و«النُّخلة».

ولي هنا أن استشهد بشيء مما ورد في «النُّخل» في لغة التنزيل العزيز:

﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ [الأنعام: ٩٩]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ﴾ [الأنعام: ٤١]، ﴿جَعَلْنَا لِاحِدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ [الكهف: ٣٢]، ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء: ١٤٨]، ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ [ق: ١٠]، ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ [الرحمن: ١١]، ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ [عبس: ٢٩]، ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٣]، ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥]، ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، ﴿وَنَخِيلٍ صِنْوَانٍ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ [الرعد: ٤]، ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ﴾ [النحل: ١١]، ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا

(١) أقول: و«الزيتون» من الشجر المبارك لما به من «زيت» يطعمون منه ويستضيئون، وقد جاء به القسم مع التين في قوله تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾. وكأني أرى كلمة «الزيت» شغلت المكان الأوفى من «الزيتون».

حَسَنًا ﴿[النحل: ٦٧]﴾ «أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ ﴿[الإسراء: ٩١]﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿[يس: ٣٤]».

وتجد «النخل» في مشاهد العذاب أيضاً وهو قوله تعالى: ﴿لَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠]، ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]^(١).

وتحوّل الآن إلى الدرس الأدبي في حيّز النخل القديم وأراني بصحبة الشعراء الجاهليين وغيرهم أتعقب أخبارهم وأنظر في دواوينهم ومصادر الشعر القديم الأخرى^(٢).

أقول: لقد كان من صحتي في هذا الدأب الملك الضليل امرء القيس والمرقس الأكبر والمسيّب بن علس وعمرو بن قميئة وليد وبشر بن أبي خازم وأبو ذؤيب الهذلي وعدي بن زيد وزهير بن أبي سلمى وطفيل الغنوي والأعشى وطرفة والشمّاح وكعب بن زهير وأبو داود الإيادي وعلقمة الفحل وعامر بن الطفيل إن هذه الجماعة ممن

(١) أقول: ولي في هذه الحاشية أن أثبت ما ورد في لغة التنزيل العزيز في «الشجر» مما يشير إلى الاحتفاء به لأنه إشارة إلى نعم الخالق فقال -تعالى-: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠]، ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّخْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ لِّجَالِ يَبُوتَا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨]، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الشَّجَرِ الْأَخْضَرَ نَارًا فَلِذَا أَنْتُمْ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠]، ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦]، ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٌ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ الرَّجَاةُ كَأَنَّهَُا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ . . .﴾ [النور: ٣٥]، ﴿فَلَمَّا أَنَاثَا نُودِي مِنَ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٢٠]، ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]، ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلِ خَشْطٍ وَأَنْثَلٍ وَشِيءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٤]، ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨، ٢٩].

وأقول: وجاء قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [في سور عذة].

(٢) أقول: اكتفي بما أشرت إليه جملة، ذلك أن لكل شاعر عدة نسخ من ديوانه، فليس بي حاجة أن أشير كل مرة للديوان وطبعته، وكذلك المصادر كالآغاني وغيرها. إن الذي يهمني من إيراد البيت ما فيه من فائدة أفادها الشاعر من النخل وما يتصل به.

سعدت بصحبتهم في جلهم وترحالهم. وقد كان لي أن رأيت في أدبهم في ظعنهم «النخلة» ماثلة لقد عرفت «نخل شوكان» و«نخل الأعراض» و«نخل ابن يامن» لدى امرئ القيس.

ووقفت على «نخيل ابن ملهم» لدى المرقش الأكبر، و«نخيل محلم» لدى لييد وبشر بن أبي خازم و«نخيل العراق» لدى أبي ذؤيب.

وقد قصد هؤلاء في أدبهم في الرحيل أن يخلصوا «الظعن» أو «الظعائن» وهذا يعني أن مادة الأدب شيء من تشبيب وغزل.

لقد نظر المسيب بن علس إلى «الظعن» وهي تُحدَى فقال:

ولقد أرى ظعنًا أخيلها تُحدَى كأن زهاءها نخل

لقد أشار إلى أنهم حين يُحدَى بهن في زهوهم كالنخل. لقد حضر «النخل» الذي رأى فيه الشاعر فناً يُحسّرُ عنه جمال يتخيله في استوائه واعتداله.

واستمع إلى شيء مثل هذا في رحيل قوم عمرو بن قميئة في قوله:

ونادى أميرهم بالفراق ثم استقلوا لبيّن عجالا
فقرّس كل منيف القرا عريض الحصير يغول الحبالا
نحال حمولهم في السراب لما توافقن سُحقاً طوالاً
كوارع في حائر منعهم تغمر حتى أتى واستطالا

وفي هذه الأبيات الأربعة أشار الشاعر إلى حمل الظاعنين في سيرهن كأنها في السراب، السُحق الطوال يكرعن في «حائر منع قد تغمر واستطال».

ثم أتى إلى مصوّر آخر هو الشاعر الجاهلي لييد فأبصر لديه «ظعن» الحي حين أشرفت بالآل، وهو السراب، الذي لم يغب عن صورة الشاعر القديم، وكأنما ارتفعت بهن «شخوص» نخلًا يُصبن وردهن من «خليج محلم» ما بين موقر بالرطب وآخر قد ستر بأكامه. ثم إنهن «سحق» قد نلن متاعهن من النهر الذي دعاه «الصفاء» في «البحرين» وهن «عم»

أقول: و«السُّحْق» جمع «سَحوق» وهي النَّخْلَة التي سَلَسَ كَرِبَها وكاد يزول، وهذا إذا طالت وارتفعت فكانت «عميمة» وجمعها «عَمَّ».

ولنْ أُنحَوِّلَ عن مشاهد الرحيل للأحبة في الأدب القديم الذي طلع فيه «النُّخْل» مما يشخص بيئة الشاعر القديم فأقف على الطعائن في حمولنْ نَحْلًا حان «صيرامه»، وقد بدا فيه غير هذا مما أدركه الفن الأصيل من مشاهد النُّخْل كقول امرئ القيس:

أَوْ مَا تَرَى أَظْعَانَهُنَّ بَوَاكِرًا كَالنُّخْلِ مِنْ «شَوْكَان» حِينَ صِيرَامُ
ولنا أن ندرك حواشي الصورة في قوله: «بواكرًا»

وهذه «الأظعان» هي «نخيل محَلَم» «السُّحْق» اللواتي أصابهن «الحناء» من طولنْ في قول بشر بن أبي خازم:

كَأَنَّ حُمُولَهُمْ لَمَّا اسْتَقَلُّوا «نَخِيلَ مَحَلَم» فِيهَا الْخَنَاءُ
وَأَنَّ تِلْكَ «الحمول» «نخل غير مُنْبَق» في قول امرئ القيس. و«الْمُنْبَق» الذي أصابه الإزهاء فتلونَ التمر قبل إرطابه:

وَحَدَّثَ بِأَنَّ زَالَتِ بَلِيلِ حُمُولَهُمْ كَنَخْلٍ مِنْ «الْأَعْرَاضِ» غَيْرِ «مُنْبَقٍ»
ثم إنك تلمح من دقائق هذه الصورة ما يكون في جنى النَّخْلَة بأعذاقها من «يَنَع» وإفصاح» في قول أبي ذؤيب:

يَا هَلْ أَرِيكَ حَمُولَ الْحَيِّ غَادِيَةً كَالنُّخْلِ زَيْئَهَا يَنَعُ وَإِفْصَاحُ
ثم آتي إلى «الطعائن البواكر في الصبح» فأجدني مع النَّخْل التي أَحَبَّها الشاعر القديم، وهام بها بل امتزج، وأنت قد تجدد الإنسانية فيها كما هي في «طعائنه» كما في قول المرقش الأكبر:

بَلْ هَلْ شَجَّتْكَ الظُّغْنُ بَاكِرَةً كَانْهَا النَخِيلُ مِنْ «مَلْهُم»

وقول عديّ بن زيد:

لَمَنْ الظَّعَائِنُ كَالْبَسَاتِينَ فِي الصَّبِيحِ تَرَى نَبْهًا أَثِيثًا نَضِيرًا

وانظر قول زهير:

كَأَنَّ بَغْلَانَ الرَّسِيسِ وَعَاقِلِ ذُرَى النَّخْلِ تَسْمُو وَالسَّفِينِ الْمُقَيَّرِ

ولا تحسبن الشاعر القديم قد حُبِسَ في بيدائه فقد عرف «السفين المقيّر» الذي ما زال معروفاً في العراق. وقد تجاوز البيداء إلى حواظر بلاد العرب فذكر «المشقر» كما أشار إلى نخيل ابن يامن دُوَيْنَ «الصفا»، فقال امرؤ القيس واصفاً «ظعائنه» في جنب تيمر «من جانب الأفلاج»:

بِعَيْنِي ظُعْنُ الْحَيِّ لَمْ تَحْمَلُوا لَدَى جَانِبِ الْأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ تَيْمَرَا
فَشَبَّهَتْهُمْ بِالْأَلِّ لَمْ تَكْمَشُوا حَدَائِقَ دَوْمٍ أَوْ سَفِينًا مُقَيَّرًا
أَوْ الْمَكْرَعَاتِ مِنْ نَخِيلِ ابْنِ يَامِنْ دُوَيْنَ «الصَّفا» اللَّائِي تَلِينَ «الْمَشْقَرَا»

لقد جمع امرؤ القيس في صورته حواشي أضافها إلى النخل لما «تكمش» أحبّأوه فبدا له «حدائق الدوم» و«السفين المقيّر» وقد أشرق الال.

وهو هنا كطُفَيْلِ الْغَنَوِيِّ الشاعر في قوله:

أَظْفَنُ بَصَحْرَاءَ الْغَبِيطَيْنِ أَمْ لُحْلُ بَدَتْ لَكَ أَمْ دَوْمٌ بِأَكْمَامِهَا حَمْلُ
و«الدوم» شجر عظام، كالسدر والسمر عرف في أدبنا القديم.

وقد يكون لي أن أشير إلى حضور «النخل والإبل» في صور الأدب القديم، ولقد وصف الشاعر القديم «الناقة السانية» وكان الدمع بعد رحيل الأحبة ما تريقه هذه «السانية» فقد قال زهير:

مَا زِلْتُ أَرْمَقُهُمْ حَتَّى إِذَا هَبَطَتْ أَيْدِي الرُّكَّابِ بِهِمْ مِنْ «رَاكِسٍ» قَلَقَا
كَأَنَّ عَيْنِي مِنْ غَرَّتِي مُقْتَلِهِ مِنَ النَّوَاضِحِ تَسْقِي جَنَّةَ سَحْقَا

وهاك الناقة والنخلة زوجين اجتماعاً في قول الأعشى فكان له مما يتعلل به في رحيله في قوله:

كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نَفْسِي وَشَايَعِي هَمِّي عَلَيْهَا إِذَا مَا آهًا لَمَعَا
بَذَاتٍ لَوْثٍ عَفْرَنَاءٍ إِذَا عَثَرَتْ فَالتُّغْسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا
تُلَوَّى بِعَذْقٍ خَصَابٍ كُلَّمَا خَطَرَتْ عَنْ فَرْجٍ مَعْقُومَةٍ لَمْ تَتَّبِعْ رُبْعَا

وما أراني أبرح قول الأعشى هذا قبل أن أبسط القول في مواده فأقول:

و«العِفْرَنَاء» هي اللَّبُوءَةُ، وكأنه يشبه ناقته بها. وكلمة «لَعَا» يُدْعَى بها للعائر بأن ينتعش فيقال: لَعَا لك عالياً. ومن دعائهم: لَا لَعَاً لِفُلَانٍ أَي لَا أَقَامَهُ اللَّهُ. والعرب تدعو على العائر من الدوابِّ إِذَا كَانَ جَوَاداً بِالتُّغْسِ فتقول: تَعْساً لَهُ. وَإِنْ كَانَ بَلِيداً كَانَ دَعَاؤُهُمْ إِذَا عَثَرَ: لَعَاً لَكَ، وهو معنى قول الأعشى.

وكان من هذا تشبيه الشاعر ذَنْبِ ناقته في كثافته بأعذاق النخلة المتراكبة فقال:
خَطُورٌ بِرِئَا الْعَسِيبِ كَأَنَّهُ إِهَانٌ عَذُوقٍ فَوْقَهُنَّ عَذُوقٌ
أقول: و«العسيب» هو «الجريد»، و«الإهان» ما سفل من العذق من لدن الشماريخ إلى أصل النخلة، و«العذق» بالكسر هو القَنُوءُ، وبالفتح هو النخلة.

وقد شبه ابن مقبل الشاعر عنق ناقته بجذع النخلة فقال:

لَصَحْبِي وَالْقِلَاصُ الْعِيسُ ثَنِي أَزْمُنُنَا سَوَالِفَ كَالْجَذُوعِ
ويشبه هذا في اجتماع الجدِيلِ مِنَ الناقةِ وعسيب النخل يُسْقَى مِنْ بَثَرِ «سُمَيْحَةَ» مَا وَرَدَ فِي قَوْلِ كَعْبِ بْنِ زَهِيرٍ:

وَاتْلَعْ يُلَوَّى بِالْجَدِيلِ كَأَنَّهُ عَسِيبٌ سَقَاهُ مِنْ «سُمَيْحَةَ» جَذُولُ

وما أراني اتَّحَوَّلَ عَنْ «الْإِبِلِ وَالنَّخْلِ» قَبْلَ أَنْ أَذْكَرَ قَوْلَ أَبِي دَاوُدَ الْإِيَادِي:

إِبِلِي الْإِبِلُ لَا يُحَوِّزُهَا الرَّاعُونَ مَجُّ النَّدَى عَلَيْهَا الْمَذَامُ

وإذا ما فجئتَها بطنَ غَيْبٍ قُلْتَ لَنُحْلَ قَدْ حَانَ مِنْهَا صِرَامٌ
وقد يكون لنا من أدب النُّخْل ما يجتمع فيه النُّخْل بالخيَل فأقول:

لم ينل الحيوان وأخص الإبل والخيَل ما ناله إلا عند قدماء العرب، فقد نعتوا الخيل
بالكرم وقالوا «كرائم الخيل» كما قالوا: كرائم الرجل، وقد سمّوا «الفرس» «الجواد»
لأصالته التي حرصوا عليها في علم «أنساب الخيل» وقد يحسن أن أشير إلى قول
الشريف الرضي:

يا ليلة السُّفْحِ هَلَّا عُدْتُ ثَانِيَةً سَقَى زِمَانُكَ هَطَّالًا مِنَ الدَّيْمِ
ماضٍ مِنَ الْعَيْشِ لَوْ يُفَدَى بِذَلَّتْ لَهُ كرائم المال من خيلٍ ومن نَعَمٍ
وقد قال عامر بن الطفيل في «الخيَل» التي لم تنأ في أدبه عما ثقفه من أدب النُّخْل:
فما أدرك الأوتار مثل محققٍ بأجرَد طائرٍ كالْعَسِيبِ الْمَشْدُبِ
وقول المسيّب بن عُلَسٍ في ممدوحه:

يَهَبُ الْجِيَادَ كَأَنَّهُا عُسْبٌ جَرْدَاءُ طَال سَبِيلُهَا الْبَقْلُ
ومثل هذا قول أبي داود:

إذا ما جَرَى شَاوِزٍ وَابْتَلَّ عِطْفُهُ أَنْاخَ بِهَادٍ مِثْلَ جَذَعِ سَحَوْقٍ
وكان للنخل حضوراً في أدبهم في جميع أغراض الشعر، فهذا أوس بن حجر يقول
في قتلى حربٍ شهدها:

وَقَتْلَى كَمِثْلِ جَذُوعِ النَّخِيلِ تَغَشَّاهُمْ مَسْبِلٌ مِنْهُمْ رُزْ

ومثل هذا كان من رثائهم فقد قالوا: إن قُسَّ بن ساعدة كان قد وقف على
قبرين لصاحبيه اللذين أخذتهما سكرة الموت فلم يجيبا سؤاله، «وكان الذي
يسقي النخيل سقاهما»:

أَمِنْ طَوْلِ نَوْمٍ لَا تَحْيِيَانِ دَاعِيَا كَأَنَّ الَّذِي يَسْقِي «العقار» سَقَاكُمَا
قلت: إن «النخل» قد وجد سبيله في عامة فنون القول، وإليك اليسير من هذه
الفوائد، قال النابغة:

وَلِرَهْطِ حَرَّابٍ وَقَدْ سُورَةُ فِي الْمَجْدِ لَيْسَ غَرَابَهَا بِمُطَارٍ^(١)
أقول: وقوله: «ليس غرابها بمطار» مثل وصف المكان بالخصيب وكثرة الشجر والنخل.
وكان للمثل أو ما يشبهه حضوراً في النخل وما يتصل به، ومن هذا قول
ساعدة بن جؤية:

هَنَالِكَ حِينَ يَتْرُكُهُ وَيَغْدُو سَلِيلًا لَيْسَ فِي يَدِهِ فَتِيلٌ
وقد استعمل «الفتيل» من أجزاء الرُّطبة في أسلوب النفي كقوله -تعالى-: ﴿بَلِ اللَّهَ
يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩].

أقول: «والفتيل خيط في شِقِّ النواة من التمر. واستعماله في حَيِّزِ النفي لإرادة
أقصى معنى النفي، أي لا يظلمون شيئاً. ومثل هذا استعمال «النقير» في
أسلوب القرآن ومعناه «النقرة» في ظهر النواة، قال تعالى: ﴿فَأَوَّلِيكَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤].

واقف على شيء من هذا في قول عدي بن زيد:
أَعَالَتْهُمْ وَأَبْطَنَ كُلُّ سَرٍّ كَمَا بَيْنَ اللَّحَاءِ إِلَى الْعَسِيبِ
فأنت ترى في هذا وغيره صدق ما ذهبت إليه في «أدب النخل» وأصالته.

لقد تجاوزوا في مادة غزلهم وتشبيهم ما يكون من «الظعائن» اللواتي يظهرن لهم

(١) أقول: وحرَّابٍ وَقَدْ رَجَلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، والسورة: المنزل الرفيعة، وقوله: «ليس غرابهم بمطار» أي
شرفهم ثابت ليس بزائل.

كالنَّخْل استواءً واستقامة، إلى شيء من صفات المرأة ذهبوا به إلى نخلتهم المباركة، ومن هذا قول أبي ذؤيب:

كَأَنَّمَا مَضْمَضَتِ مِنْ مَاءِ أَكْرِبَةٍ عَلَى سَيَابَةِ نَخْلٍ دُونَهُ مَلَقٌ

و«السَّيَابَةُ» واحدة «السَّيَابِ» وهي النَّخْلَةُ وهذه بلغة وادي القرى كما قالوا.

أقول: وكان هذا الانصراف إلى النَّخْلَةِ وما يكون منها يشير إلى أنهم كانوا شديدي الاتصال ببيتهم فأنت تجد امرؤ القيس يقول:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابِ وَالْحَشَفِ الْبَالِي

كما تجد السَّمَاخ يقول:

مِثْلُ الْأَشْأَاءِ أَوْ الْبَرْدِيَّاتِ أَوْ الْغَمَامَاتِ أَوْ الْوَدْيَاتِ

لقد جمع بين الأشياء وهي جمع الفسيل، وبين البرديات والغمامات والوديات، وجميعها من النَّخْل. وقد يتعد مجال القول عن النَّخْل، ولكنك تجد شيئاً من لوازمه عائداً إلى النَّخْل كقول عدي بن زيد:

كُلُّ صَغَلٍ كَأَنَّمَا شَقَّ فِيهِ سَعَفَ الشُّرَى شَفَرَتَا مِقْرَاضٍ
وكقوله أيضاً:

بَلْ حَوَابٍ فِي ظِلَالِ فَسِيلٍ مِلَّتْ أَجْوَاهُ عَنْ عَصِيرِ
وكقول الأعشى:

فَأَوْرَدَهَا عَيْنًا مِنَ السَّيْفِ رِيَّةً بِهَا بُرَّةٌ مِثْلُ الْغَسِيلِ الْمَكْمَمِ
وكقول قيس بن الخطيم:

نَحْنُ بَغْرَسُ الْوَدْيِ أَعْلَمْنَا مَنَا بَرَكُضَ الْجِيَادِ فِي السُّدْفِ

وكأنك واجد عامة ما يتصل بالنخل من لغة وأدب وفوائد أخرى تتصل بهذا
الضرب الحضاري من الفلاحة في الشعر القديم. وقد كان لي شيء من هذا وأنا
أستقري دواوين الشعراء ومصادر الأدب الأخرى.

وقد يكون مفيداً أن أبسط بعض هذا القدر الذي كان لي وفيه:

قال النابغة:

من الشارعات الماء بالقاع تَسْتَقِي بأعجازها قبل استقاء الحناجر

وقال حاتم:

إذا أزررو بالشوك أعجاز نخلهم رأيت عذاقي بينها ما تُؤزِّرُ

وقال دريد بن الصمة:

يفوت طويل القوم عَقْد إزاره مُنِيفَ كَجِذْع النُّخْلَةِ المتجرِّدِ

وقال امرؤ القيس:

وأركب في الرُّوْعَ خَيْفَانَةً كَسَا وجهها سَعْفٌ مُتَشَرُّ

وقد علّق الأزهريّ في «التهذيب» بقوله: هذا يدلّ على أن «السَّعْف» ورَق، وهو
ورَق الجريد يُسَفّ منه الزُّبلان.

وقد وجدت معجم النخل غنياً قل أن نجد نظيراً في لغات أخرى في شيء من
موادها التي اشتهر بها مكان من الأمكنة فانت لا تعرف إلا القليل عن شجرة
البنّ مثلاً في أدب البرازيل وأمريكا اللاتينية، كما لا تعرف شيئاً كثيراً عن هذه في
الأدب الحبشي القديم.

ولكني أقرأ الشعر القديم فأجد قيس بن الخطيم يقول:

نَرَى قِصْدَ الْمُرَّانِ تهوي كأنها تذرُّع خِرْصَانٍ بأيدي الشواطب

أقول: أجد في هذا الأدب الأصيل «الخرصان» جمع «خرص» وهو جريد النخلة، وأجد «الشواطب» وهنّ النساء اللواتي يَسْعِفْنَ الحُصْرَ ويقشرن العشب ليتخذن منه الحُصْرَ. وشَطَبَت المرأة الجريد بمعنى شقته لتعمل الحصر.

وقد يكون لي أن أقول: إن القارئ الجديد قد بعد به العهد عن «الشواطب» وشقائهن بصنعتهنّ، فهو لا يدرك «سَفَّ» الحصر، وأين هو اليوم من عبث الماضي الذي أوشك عفن عصرنا أن يقضي عليه.

وأماً «المُرّان» وواحدته «المُرّانة» وهو ضرب من الشجر كالقصب وقد سُمِّيَ به في الرجال فكان من أسماءهم «مُرّان».

أقول: وقد عرفنا «الشطب» و«الشواطب» فكيف وصلنا إلى «التشطيب» في مصطلح المقاولين في عصرنا؟

وأقرأ قصيدة طرفة التي قال فيها:

تَظَلُّ نِسَاءُ الْحَيِّ يَعْكُفْنَ حَوْلَهُ يَقْلَنَ عَسِيبٌ مِنْ سِرَاوَةٍ مَلْهَمًا
فأرى «العسيب» يتجاوز حدّه إلى النخلة الأصيلة المنسوبة إلى سراوة ملهم وانظر إلى بكاء الميت الذي فقد «عسيباً» ذا أصالة.

وأنقلب إلى أحسن من خلد البكاء على ذوي النبالة والأصالة فأقرأ قول تهاضر بنت عمرو الشريد السلمية التي اشتهرت بالخنساء:

كوني كورقاء في أفنان غيلتها أو صائح في فروع النخل هتّاف
وأقرأ قول الإيادي أبي دواد^(١):

وهادٍ تقدّم لا عيب فيه كالجدع شذب عنه الكرب

(١) أقول: هو أبو دواد بالروا وليس «داود» مهموزاً، أشار إلى هذا ابن دريد في كتاب الاشتقاق.

أقول: وقد يعرف القارئ في عصرنا «الليف» فيظنها شيئاً من نبات كأنه نسيج، وهو لا يعرف أن «الليف» شيء من أسرة النخلة يكون بين الكرْب محيطاً بالجدع إلى قَلْب النخلة فإذا قلنا: «لَيْفَت» النخلة إذا غَلِظت وكثر ليفها^(١) وأنا أجد هذا في قول عامر بن الطفيل:

وكان هاديَه إذا استعرضته جَدَعٌ تحسَّرَ ليفه مجرودٌ
وقد تدرك هذا في قول المسيَّب بن عَلس:

غَلَبَ العُذوق على كوافره مُتَلَفَعِلًا بالليف متطوق
وقد يكون الشيء في النخلة فيكون كذا وكذا، وما زلت أنا في «الليف» فأجده هو «الخَلْب» وأجده «اللَّب» وأجده «الْقَلْب»، ثم أجد شيئاً كنت أجهله لولا ما يكون لي من وشيجة نَسَب بهذه الشجرة المباركة^(٢) وأقرأ قول المثقَّب العبدِي:

يتبعه في إثره واصِلٌ مثلُ رشاء الخَلْب الأجرِدِ

وأقرأ «السَّلاء» وواحدته «سَلَاءة» وهو شوك النخل في قول علقمة الفحل:

سَلَاءة كعصا النهدي غُلٌّ بها ذو فَيْئَةٍ من نَوَى قُرَّان معجومٍ

و«السَّلاءة» ما زالت معروفة في عامية العراقيين بمعناها القديم وهي «سِلَالَة».

وأنت تجد أجزاء النخلة فيما يستعمله العربي القديم مما نقف عليه في الشعر القديم كما يكون لنا أن نقرأه في قول عبدة بن الطيب:

حَواجِلٌ مُلِئَتْ زيتاً مجرَّدةٌ ليست عليهن من خوصٍ سواجيلٍ
و«الحواجِل» في قول عبدة بن الطيب هي: «القوارير» ثم إن «السواجيل» جمع

(١) أقول: وأفاد المعاصرون من «الليف» مصطلحهم الطبي فقالوا: «التليف» للداء الخبيث.

(٢) سيجد القارئ في ذيل هذا الفصل قصيدة لي، أسميتها «من حديث نخلة» أشرت فيها إلى ما يكون بيني وبين «نخلتي» هذه من «رَجَم» موصولة.

«ساجول»^(١) وهو الغلاف.

وكننت قلت إن الشاعر القديم أفاد من نخلته فاستعار منها ما كان في صُلْب صورته الفنية وما كان حواشٍ يزين بها صورته، والزينة ليس شيئاً فيه غنى عنه، بل إنها بعض ما يهب الصورة من فن أصيل.

ولاني لأجد هذا لدى الشاعر في فخره فأجد، المفضل النكري يقول:

قَتَلْنَا الْحَارِثَ الْوَضَّاحَ مِنْهُمْ كَأَنَّ سَوَادَ لَمْتِهِ الْعُذُوقُ

وأنا أعرف «العذوق» في النخلة كالعنقود في «الكرمة» وأجده «العرجون» الذي ورد في أدب لغة التنزيل: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩].

وهو «القنو» في قول امرئ القيس في غزله وتشبيهه بمحاسن صاحبتة التي ناداها بقوله: «أفاطم مهلاً. . .»

وَفَرِيعٌ يَغْشَى الْمَثْنِ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثْبَثَ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَثِّكِلِ

و«القنو»^(٢) هذا هو الذي أجده في لغة التنزيل:

﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ [الأنعام: ٩٩].

ولك في أدب الجاهليين في النخل مادة نفيسة تدرك فيها أنهم عنوا بالنخيل لما أدركوه من جمالها وليس للرطب الجني الذي منه يأكلون فهذا الشماخ قد أبصر هذا فكان له أن يقول:

خَطُورٌ بِرَيَّانِ الْعَسِّيبِ كَأَنَّهُ إِهَانٌ عُذُوقٍ فَوْقَهُنَّ عُذُوقُ

ولك أن تسأل عن «العذوق» الأولى التي هي جمع «عذوق» بفتح العين، وهو النخلة

(١) أقول: واستقرت بناء فاعول فوجدته معروفاً في العربية، ولكني وجدته فاشياً في اللغة السريانية.
(٢) أقول: ومثل «القنو» كلمة «الصنو» لما هو مثيل مشابه وأصله «اللون» من أصناف الرطب ويدل على هذا ما ورد في لغة التنزيل وهو قوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرعد: ٤].

نفسها، ثم «العذوق» الأخرى التي جمع «عِذْق» بكسر العين وقد مرّ بنا ذلك.

ولك أيضاً أن تنظر إلى امرئ القيس لتقف على قوله الذي صرّف فيه «العسيب» و«العثاكيل» إلى حيّز غزله وتشبيهه فقال:

فلما تنازَعنا الحديث وأسمَحَت هَصَرَت بغَضٍّ ذي شمَارِيخٍ مِيَالٍ

قلت: ذهب امرؤ القيس وأفاد فنّه بل قل اصطاده فيما يكون في النُّخل، وقد سار في هذا الدرب غيره من أهل الفن فكان لنا منه قول عديّ بن زيد:

وتبسّمُ عن نَيرٍ كالوليعِ شَقَقَ عنه الرُّماةُ الجفونَا

أقول: و«الوليع» هو «الطلّع» وهو أبيض ويقال له «الإغريض» و«الغريض» ينشق عنه «كافوره» الذي هو «الجُف» في قول عديّ الذي عرفناه. وقد ذكر هذا النابغة الجعديّ فقال:

ليالي تصطاد الرجال بفاحمٍ وأبيض كالإغريض لم يتكلّم

وهو يشير بقوله: «كالإغريض» إلى أسنانها «البيض» يقابل بها، وهو في فنٍّ لا يعرف التكلّف المصنوع ما كان من شعرها «الفاحم» الأسود.

وأنا في هذا مع أبي ذؤيب في قوله:

فجاءَ بمزجٍ لم يرَ الناسُ مثله هو الضُّحكُ إلّا أنه عمل النُّخل

وأريد أن أقول: إن «الضُّحك» في قول هذا الهذليّ هو «الطلّع» حين ينشق عنه «كافوره» وهو الضُّحَاكُ أيضاً^(١).

وقد يكون لي أن أتلو قوله تعالى: ﴿وَالنُّخْلُ بَاسِقَاتٍ لِّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق: ١٠].

(١) أقول: إن هذه الدلالة للضُّحك مستفادة من المصدر للفعل «ضحك» للبياض الذي يبدو في أسنان الضاحك وليس لنا أن نقول: إنه بلغة بلحارث بن كعب.

وأمضي في هذا الأدب الذي ما أراني مدركه ومستوفياً لأشتاته فاتوقف عند قول الأعشى:

أَيَّامَ تَجْلُو لَنَا عَنْ بَارِدِ رَتْلِ نَخَالٍ نَكْهَتْهَا بِاللَّيْلِ سُيَّابَا
و«السِّيَاب» بلغة أهل البحرين هي النُّخْل، واحدته «سَيَّابَة» وهي غير «السِّيَابَة»
بالتخفيف لواحدة «السِّيَاب» للرُّطْبَة التي عناها أحيحة بن الجلاح بقوله:

أَقْسَمْتُ لَا أُعْطِيكَ فِي كَغَبٍ وَمَقْتَلِهِ سَيَّابَةً
وإذا كنت مع هذا فليس لي أن أترك قول المخبّل السعدي:

وسارت إلى يَبْرِينَ خَمْساً فَاصْبَحَتْ يَجْرُ عَلَى أَيْدِي السُّقَاةِ جَذَالُهَا
وقد أحب العرب الأقدمون حيثما كانوا «تخلتهم» فقال فيها ذو جَدَن الحميري:
وتخلته التي غُرِسَتْ إِلَيْهِ يَكَادُ الْبُسْرُ يُهْصَرُ بِالْعَذُوقِ
وقال في شيءٍ من هذا عامر بن جُوَيْن:

أَفَأَثْلًا قُلْتُ تَحَسَّبُهُمْ أَمْ نَحْيِلاً أَيْنَعَتِ رُطْبَاءُ
وإني لأختم هذا الدرس الذي شغفت به وإن لم أكن من أصحاب النُّخْل، ذلك أن
بيني وبينه رحماً موصولة وإن كنت أنشد غير برم قول الأعشى:

ذريني لكِ الويلات آتي الغوانيا متى كنتُ زَرَّاعاً أسوق السوانيا
وإني لأنشد ما أنشده صاحبي أبو حاتم:

فَبَاتَ يُرَوِّي أَصُولَ الْفَسِيلِ فَعَاشَ الْفَسِيلُ وَمَاتَ الرَّجُلُ
وأتلو قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا
فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، وقال أهل التأويل: أريد بالكلمة الطيبة «كلمة التوحيد»

من «معجم البلدان»

لياقوت

حلوان

وحلوان العراق وهي آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد، وفي كتاب الملحمة المنسوب إلى بطليموس: طولها إحدى وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها أربع وثلاثون درجة، وأما لخلتنا حلوان فأول من ذكرهما في شعره فيما علمنا مطيع بن إياس اللثي، وكان من أهل فلسطين من أصحاب الحجاج بن يوسف، ذكر أبو الفرج عن أبي الحسن الأسدي حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سعيد بن سلم: قال أخبرني مطيع بن إياس أنه كان مع سلم بن قتيبة بالري، فلما خرج إبراهيم بن الحسن كتب إليه المنصور يأمره باستخلاف رجل على عمله والقدم عليه في خاصته على البريد، قال مطيع بن إياس: وكانت لي جارية يقال لها جودابة كنت أحبها، فأمرني سلم بالخروج معه فاضطرت إلى بيع الجارية فبعتها وندمت على ذلك بعد خروجي وتتبعها نفسي، فنزلنا حلوان فجلست على العقبة أنتظر ثقلي وعنان دابتي في يدي وأنا مستند إلى نخلة على العقبة وإلى جانبها نخلة أخرى فتذكرت الجارية واشتقت إليها فأنشدت أقول:

أسعداني يا لخلتي حلوان	وابكياني من ريب هذا الزمان
واعلم أن ريبه لم يزل به	فرق بين الألف والجيران
ولعمري، لو ذقتما ألم الفر	قة أبكما الذي أبكاني
أسعداني، وأيقنا أن لحسا	سوف يأتيكما فتفترقان
كم رمتني صروف هذي الليالي	بفراق الأحباب والخلان
غير أنني لم تلق نفسي كما لا	قيت من فرقة ابنة الدهقان

جَارَةً لِي بِالرِّيِّ تَذْهَبُ هُمِّي وَيَسْلِي دُؤُوهَا أَحْزَانِي
فَجَعَتْنِي الْإِيَامُ، أَغْبَطَ مَا كُنْتُ، بَصْدَعُ لِلْبَيْنِ غَيْرُ مُدَانِ
وَبَزَعْمِي أَنْ أَصْبَحْتُ لَا تَرَاهَا الْـ عَيْنُ مِنِّي، وَأَصْبَحْتُ لَا تَرَانِي

وعن سعيد بن سلم عن مطيع قال: كانت لي بالريّ جارية أيام مقامي بها مع سلم بن قتيبة، فكنت أنستر بها وأنعشق امرأة من بنات الدهاقين، وكنت نازلاً إلى جنبها في دار لها، فلما خرجنا بعث الجارية وبقيت في نفسي علاقة من المرأة، فلما نزلنا بعقبة حلوان جلست مستنداً إلى إحدى النخلتين اللتين على العقبة وقلت، وذكر الأبيات، فقال لي سلم: فيمن هذه الأبيات، أفي جاريك؟ فاستحييت أن أصدقته فقلت: نعم، فكتب من وقته إلى خليفته أن يتاعها لي، فلم يلبث أن ورد كتابه بأني قد وجدتها وقد تداولها الرجال وقد بلغت خمسة آلاف درهم فإن أمرت أن أشتريها، فأخبرني بذلك سلم وقال: أما أحب إليك هي أم خمسة آلاف درهم؟ فقلت: أما إن كانت قد تداولها الرجال فقد عزفت نفسي عنها، فأمر لي بخمسة آلاف درهم، فقلت: والله ما كان في نفسي منها شيء ولو كنت أحبها لم أبال إذا رجعت إلي بمن تداولها ولا أبالي لو ناكها أهل منى كلهم؛ وذكر المدائني أن المنصور اجتاز بنخلتي حلوان وكانت إحداها على الطريق وكانت تضيّقه وتزدهم الأثقال عليه فأمر بقطعها، فأنشد قول مطيع:

واعلموا إن بقيتما أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقا

فقال: لا والله لا كنت ذلك النحس الذي يفرق بينهما فانصرف وتركها؛ وذكر أحمد بن إبراهيم عن أبيه عن جده إسماعيل بن داود أن المهدي قال: أكثر الشعراء في ذكر نخلي حلوان ولهممت بقطعهما فبلغ قولي المنصور فكتب إليّ: بلغني أنك هممت بقطع نخلي حلوان ولا فائدة لك في قطعهما ولا ضرر عليك في بقائهما وأنا أعيذك بالله أن تكون النحس الذي يلقاها فيفرق بينهما، يريد بيت مطيع.

وعن أبي نمير عبد الله بن أيوب قال: لما خرج المهدي فصار بعقبة حلوان استطاب الموضع فتغذى به ودعا بحسنة فقال لها: ما ترين طيب هذا الموضع! غنيني بجياتي حتى

أشرب هنا أقداحاً؛ فأخذت مِحْكَةً كانت في يده فأوقعت على فخذه وغتته فقالت:

أيا نخلتي وادي بُوانة جَبَذا، إذا نام حُرَّاس النخيل، جناكما

فقال: أحسنت! لقد هممت بقطع هاتين النخلتين، يعني نخلتي حلوان، فمنعني منهما هذا الصوت، فقالت له حسنة: أعيذك بالله أن تكون النحس المفرق بينهما! وأنشدته بيت مطيع، فقال: أحسنت والله فيما فعلت إذ نبّهتني على هذا، والله لا أقطعهما أبداً ولأوكلن بهما من يحفظهما ويسقيهما أينما حييت! ثم أمر بأن يفعل ذلك، فلم تزالا في حياته على ما رسمه إلى أن مات.

وذكر أحمد بن أبي طاهر عن عبدالله بن أبي سعد عن محمد بن المفضل الهاشمي عن سلام الأبرش قال: لما خرج الرشيد إلى طوس هاج به الدم مجلوان فأشار عليه الطبيب بأكل جُمَار، فأحضر دهقان حلوان وطلب منه، فأعلمه أن بلادهم ليس بها نخل ولكن على العقبة لنخلتان، فأمر بقطع إحداهما، فلما نظر إلى النخلتين بعد أن انتهى إليهما فوجد إحداهما مقطوعة والأخرى قائمة وعلى القائمة مكتوب، وذكر البيت، فأعلم الرشيد وقال: لقد عز عليّ أن كنت نحسكما ولو كنت سمعت هذا البيت ما قطعت هذه النخلة ولو قتلتني الدم؛ ومما قيل في نخلتي حلوان من الشعر قول حماد عجرد:

جعل الله سِدْرَتِي قَصْرَ شَيْ رَيْنَ فِدَاءٍ لِنَخْلَتِي حُلْوَان
جِئْتُ مُسْتَعِداً فَلَمْ تَسْعِدَانِي وَمُطِيعَ بَكْتٍ لَهُ النُّخْلَتَان

وروى حماد عن أبيه لبعض الشعراء في نخلتي حلوان:

أيها العاذلان لا تعذلاني ودعاني من الملام دعاني
وابكيالي، فإنني مستحق منكما بالبكاء أن تسعداني
إنني منكما بذلك أولى من مطيع بنخلتي حلوان
فهما تجهلان ما كان يشكو من هواء، وأنتما تعلمان

وقال فيهما أحمد بن إبراهيم الكاتب من قصيدة:

وكذاك الزمان ليس، وإن أُلِّفَ — فف، يلقى عليه مؤتلفان
سَلَبَتْ كُفَّهُ العزیز أخاه — ثم ثَنَى بنخلتي حلوان
فكَأَنَّ العزیز مَذْكَان فرداً — وكان لم تَجَاوِرِ النُّخْلَان

وحلوان أيضاً: قرية من أعمال مصر، بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل، وبها ديرٌ ذكر في الديرة، وكان أول من اختطها عبدالعزيز بن مروان لما ولي مصر، وضرب بها الدنانير، وكان له كل ألف جَفَنَة للناس حول داره، ولذلك قال الشاعر:

كلُّ يوم كأنه عيد أضحى — عند عبدالعزيز أو يوم فطر
وله ألف جَفَنَة مترعات — كلُّ يوم، يمدُّها ألف قدر

مواضع أخرى عرفت «بنخل» و«نخلة»

نَخْلٌ: منزل من منازل بني ثعلبة من المدينة على مرحلتين، وقيل: موضع بنجد من أرض غطفان مذكورة في غزاة ذات الرقاع، وهو موضع في طريق الشام من ناحية مصر، ذكره المتني فقال:

فمَرَّتْ بنخلٍ وفي ركبها — عن العالمين وعنه غنى
وقيل في شرح قول كثير:

وكيف ينال الحاجبية ألف — يَلِيلُ مُمَسَاه وقد جاوزت نخلاً

نخل: منزل لبني مرة بن عوف على ليلتين من المدينة، وقال زهير:

وإني لمُهدٍ من ثناء ومدحة — إلى ماجدٍ تبقى لديه الفواضلُ
أحابي به ميتاً بنخلٍ وأبتغي — إخاءك بالقيـل الذي أنا قائل

نَخْلَةُ الْقَصْوَى:

وفيهما من قول المتلمس [أخطأ يا قوت فنسب الأبيات إلى جرير]:

كم دون أسماء من مُستعملٍ قُذِفَ ومن فلاةٍ بها تستودع العيسُ
حَنَّتْ إلى نخلة القصوى فقلتُ لها بسئل عليك إلا تلك الدهاريسُ
أُمِّي شاميةٌ إذ لا عراق لنا قوماً نودُّهمُ إذ قومنا شوسُ

نَخْلَةُ الشامية:

واديان لهذيل على ليلتين من مكة يجتمعان ببطن مرٍّ وسبوحه .. وهو وادٍ يصبُّ
من الغمير واليمانية تصبُّ من قرن المنازل، وهو على طريق اليمن مُجتمعهما البستان
.. وإياهما عني كثير بقوله:

حَلَفْتُ بِرَبِّ الموضعين عشيَّةً وغيطان فلج دونهم والشقائقُ
يَحْتَوْنَ صُبْحَ الحمرِ خوصاً كأنها بنخلة من دون الوحيف المطارقُ
وأشار يا قوت إلى موضع آخر في الحجاز قريب من مكة فيه نخل وكرم دعاه «نخلة
محمود» و«يوم نخلة» أحد أيام الفجار، وقد جاء في قول كعب بن زهير.

و«نخلة اليمانية»:

وقد وردت في قول ذي الرمة:

دَرَبٌ قِلاصُ الخوص تدمي أنوفها بنخلة والداعين عند المناسكِ
أقول: وكان المتنبي أراد «نخلة الشامية» بقوله:

ما مُقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهودِ

من حديث «نخلة»

كانت نخلة لي غرستها في حديقة داري ببغداد قبل أكثر من ثلاثين سنة، ونشأت

وشبت وربت وآتت أكلها رطباً جنياً.

وكان لي أن فارقت بغداد إلى عمّان قبل أكثر من اثني عشر عاماً، وانقطعت عن الدار وما فيها، وبقي لي من أمر «لخلتي» أثر أنصوّره على البعد.

وقد كانت بقرب هذه النُخلة ليلة الثاني عشر من ربيع الأول (١٤١٣هـ) وكان لي لقاء فيما يراه النائم من أطياف.

حدّثني (لخلتي) طويلاً وشاركتها الحديث، وكان من ذلك أن شكت ظلم الزمن، وفقر الأرض، والعسف الذي لحق بها جراء ذلك، وقد طما الخطب وأجذبت الأرض ولحق بالنُخلة وسائر الشجر وجمهرة كل حي العسر والضيق.

حدّثني عن الناس الذين شملهم الخطب من أهل الفضل والعلم وغيره من المكدورين. وتلك نازلة ينزلها الناس بأنفسهم بما لحق بهم من ظلم.

وها أنذا أوعب حديث النُخلة وما كان بيننا في هذا الموزون المغنى الذي وجدته أرحب صدرأ من جديد أخذ القوم به فشدّوا فضاغ الكثير من شدوهم في الكلم الجديد.

أمسيتُ أضيقُ ما أكونُ	فلقد دجا العصرُ الحزينُ
أنا لخلّة الوادي فهل	وافاك من خطبي شجونُ
أنا لخلّة البلد الخصيبِ	بكتيه من شجورٍ منّونُ
واستصرخت من جدبِ	حاضرهما السُّهولةُ والحزونُ
بيني وبين الأرض أصـ	رّة هي الجبلُ المتينُ
رجمُ السّودُ بها وإن	نالَ الحِمَى زمنٌ خـ
أنا «عمّة» المسـ	حقين كما روى الأثر الأمينُ
إنّي لسيدة المكـ	ن الطُّهر والإلـ
قد ضاق بي أهلُ فـ	لا ضاقت الأرضُ الحـ
وقد اقشـرت حيث أبصـ	رُها كما اضطربَ الجنينُ
حتى كأنّي نـ	من بعض ما ضيـمت أنينُ

ولئن شقيت بما صبر — وت لها، لقد هاج الحنين

أنا نخللة البلد الكثيب
جفت عثاكي وأبعد
أمسيت لا الرطب الجني
خف القطمين، فكيف لي
وتحملت زمر الكرام
أرسلت طرفي في الربوع
لا السدرة الغبراء قد
هي سدره للمتهدى
من أين أدرك ما عر
ولي كما قد ضيّم
أبكى، وكيف يكون ذاك
سرحت طرفي، لست
يكاد يصرعني جنون
عني الطلع الحزين
وكيف إن خبت الهجين؟
صوت، وقد خف القطمين؟
وأجمرت بهم سفين
فليس فيها ما يُبين
لاحت وقد بسقت فنون
ناجيتها فخبّت لحون
اني من ملاحته فنون؟
غرس واعجت منه عيون
وأين لي دمع هتون؟
أسعده بما سمقت فنون

أنا نخللة الوادي فهل
قد كان خطيب أن يحف
لي أن أكون ولا أكون؟
بنا الزمان فلا يهون

يا نخلتي، أنا منك ذو
بي مثل ما بك فالأسى
أخفي الذي لا يستطاع
ولانت صارعت الزمان
وأنا الذي حملت من خط
وجدد تناهيني، رهين
قدر لنا، وبه ندين
وقد يحز بي الكمين
وغالك العهد الضنين
ب فما نكلت شجون

أنا للمكـارِهِ والنوائـبِ والهمـومِ بهـا قَمَـينُ
قالوا: رحلتَ، فلا مـكانَ تـستَقِرُّ بهِ مَكـينُ
فلقد صُـرِفْتَ إلى المـعـينِ الثـرُ يـفـرُضُه يقـينُ
كَلِمَ عَـرِفْتَ أَصـولَه وبـدا لـكَ السـرُّ الدفـينُ
ما إن ظننتَ قـصـورَه لُبْساً، وهـل يـخفـى الظنـينُ

أفـنـخلَـة الوادي شـقـيتِ كـما قـضـى قـدرُ مـهـينِ!
لأراجـعِنَ إلـيـكَ آيـام مـي فـيـصـدُقـنـي مـيـنِ
سَـعِياً تـبـرُّ بهِ الـيـمـيـمِ نـُ ولا أراـنـي أسـتـكـينِ
لأنـالَ يـومـي وهـو مـن مـر مـى يـدـي، وغـداً يـحـينِ
فأدـيرُ عـاصـفـةً بـنـفـسـي حـين يـحـكـمـنـي سـُـكـونُ^(١)

(١) إبراهيم السامرائي، صنعاء في ٢٥/٨/١٩٩٢م

أدب النخل والتمر

في المثل القديم

قد يكون لي أن أعرف البيئة العربية القديمة فأتيّن شخوصها ورموزها في «المثل القديم» وكأنني أدرك هذا إدراكاً لا أتيّنه في سائر ألوان أدب العربية.

ومن هنا عمدت إلى استقراء المثل في «مجمع الأمثال»^(١) للميداني لأثبت هذا الأدب القديم وما كان منه.

لقد ورد فيما أوّله همزة قولهم:

١- «إنه لأشبه به من التمرة بالتمرة» مجمع الأمثال (١/ ٧٢)

ويُضرب هذا في قرب الشبه بين الشيئين.

٢- «أكلتم تمرّي وعصيتم أمرّي» مجمع الأمثال (١/ ١٣٥).

قاله عبدالله بن الزبير.

٣- وجاء في المثل: «بأبي وجوة اليتامى» مجمع الأمثال (١/ ١٦٢-١٦٣).

قال سعد القرقر، وهو رجل من أهل هَجْر، كان النعمان بن المنذر يضحك منه، وكان للنعمان فرَس يقال له: اليعموم يُردي مَنْ ركبهُ، فقال يوماً لسعد: اركبهُ واطلُب عليه الوحش فامتنع سعد، فقهره النعمان على ذلك، فلما ركبهُ نظر إلى بعض ولّده وقال «هذا المثل»، فضحك النعمان وأعفاه من ركوبه، فقال سعد:

نَحْنُ بَغْرُسُ الْوُدِيِّ أَعْلَمُنَا مِنَّا بِحَجْرِي الْجِيَادِ فِي السُّلْفِ^(١)

(١) «مجمع الأمثال» للميداني (ط. عيسى البابي الحلبي) القاهرة (١٩٧٧).

(٢) البيت الأول في «اللسان» (ودي).

يَا لَهْفَ أُمِّي فَكَيْفَ أَطْعَمُهُ مُسْتَمْسِكًا وَالْيَدَانِ فِي الْعُرْفِ

قال الميداني في روايات هي «السُّلْفُ والسُّدْفُ والسُّلْفُ»: وأجود هذه الروايات هذه الأخيرة [وهي جمع سُلْفَةٍ، وهي الذُّبْرَةُ مِنَ الْأَرْضِ] لَأَنَّ سَعْدًا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَرَاثَةِ وَالزَّرَاعَةِ، فَهُوَ يَقُولُ: نَحْنُ بَغْرَسُ «الْوَدِيِّ»^(١) فِي الدِّبَارِ وَالْمَشَاوِرِ أَعْلَمُ مِنَّا بِجَرِيِّ الْجِيَادِ وَقَالَ الْمِيدَانِيُّ: «أَعْلَمْنَا» أَرَادَ أَعْلَمُ مِنَّا وَهِيَ لُغَةٌ هَجَرٌ، يَقُولُونَ: نَحْنُ أَعْلَمْنَا بِكَذَا مِنَّا.

٤- «بَقْطِيهِ بِطَبْكَ» مجمع الأمثال (١/ ١٧٢).

قال الميداني: التَّبْقِيطُ: التَّفْرِيقُ، وَالبَّقْطُ مَا سَقَطَ وَتَفَرَّقَ مِنَ التَّمْرِ..

يُضْرَبُ لِمَنْ يُؤَمِّرُ بِأَحْكَامٍ أَمْرٌ يَعْلَمُهُ وَمَعْرِفَتُهُ.

٥- «التَّمْرَةُ إِلَى التَّمْرَةِ تَمَرٌ» مجمع الأمثال (١/ ٢٤٠).

قال الميداني: هَذَا مِنْ قَوْلِ أَحِيحَةَ بْنِ الْجَلَّاحِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ دَخَلَ حَائِطًا لَهُ فَرَأَى تَمْرَةً سَاقِطَةً فَتَنَاوَلَهَا، فَعَوَّتَبَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ هَذَا الْقَوْلُ ..

وَيُضْرَبُ فِي اسْتِصْلَاحِ الْمَالِ.

أَقُولُ: وَ«الْمَالُ» ذَهَبٌ فِيهِ الْعَرَبُ إِلَى الْإِبِلِ وَالِدَوَابِّ كَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، ثُمَّ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ.

٦- «التَّمْرُ فِي الْبَثْرِ عَلَى ظَهْرِ الْجَمَلِ» مجمع الأمثال (١/ ٢٤٠).

قال الميداني: أَصْلُ ذَلِكَ أَنَّ مَنَادِيًّا -فِيمَا زَعَمُوا- كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَكُونُ عَلَى أَطْمٍ مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ حِينَ يُدْرِكُ الْبُسْرَ فَيَنَادِي: التَّمْرُ فِي الْبَثْرِ، أَيِ مَنْ سَقَى وَجَدَ عَاقِبَةً سَقِيَهُ فِي تَمْرِهِ، وَهَذَا قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمَ السُّرَى.

٧- «تَرَى الْفَتْيَانَ كَالنَّخْلِ وَمَا يُدْرِكُ مَا الدُّخُلُ» (١/ ٢٤٠).

(١) انظر: «معجم النخل» في هذا الكتاب.

والدُّخْل: العيب الباطن.

ويُضْرَب لذي المنظر لا خيرَ عنده.

٨- «التَّمْر بالسويق» (١/ ٢٤٢).

قال الميداني: مثل حكاه أبو الحسن اللّحياني يُضْرَب في المكافاة.

٩- «جُمَارَةٌ تُؤْكَل بالهلّاس» (١/ ٢٨٥).

قال الميداني: الجُمَارَةُ شُخْمَةُ النَّخْلَةِ، وهي قُلْبُهَا الذي يُؤْكَل، والهلّاس: ذهاب العقل، يقال: رجل مهلوس، أي مجنون.

ويُضْرَب في المال يُجْمَع بِكَدٍّ ثُمَّ يُوْرَث جاهلاً.

١٠- «جاء أبوها برُطْبٍ»

قال الميداني: قالوا إنّ أوّل مَنْ قال ذلك شَيْهَم بن ذي النّائين العبديّ، وكان فيه فَشَلٌ وضعف رأي، فأتى أرضَ النّبيط في نَفَرٍ من قومه، فهويَ جاريةً نبطيةً حسناء فتزوّجها فنهاء قومه، وقال في ذلك أخوه محارب.

... ..

ثم أنشأ هو يقول:

أَلَمْ تَرْنِي أَلَامٌ عَلَى نِكَاحِي فَنَاءَ حُبِّهَا دَهْرًا عَنَانِي

الآيات

فلما سمع القوم ذلك منه كَفَّوْا عن لومه والسخرية منه.

ثم إن أباهَا قَدِمَ زائراً لها من أرضه، وحمل معه هدايا منها رُطْبٌ وتمر، فلما ذاقَ شَيْهَم الرُطْبَ أعجَبَتْهُ حلاوته، فخرج إلى نادي قومه وقال:

ما مراء القوم في جمع الندي ولقد جاء أبوها برطسب
فذهبت مثلاً.

ويضرب لمن يرضى باليسير الحقيق

١١- «أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب»

قال الميداني: الجذيل، وهو تصغير الجذل، وهو أصل الشجرة، والمحكك: الذي تتحكك به الإبل الجربى.

والعذيق تصغير العذق -بفتح العين- وهو النخلة. والمرجب الذي جعل له رجة، وهي دعامة تُبنى حولها من الحجارة، وذلك أن النخلة إذا كانت كرمة وطالت تخوفوا عليها أن تنقع من الرياح العواصف، وهذا تصغير يُراد به التكبير.

قال أبو عبيد: هذا قول الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري، قاله يوم السقيفة عند بيعة أبي بكر، يريد أنه رجل يستشقى برأيه وعقله.

١٢- «أرض من العشب بالخصوص» مجمع الأمثال (٥٦/٢).

قال الميداني: و«الخصوص» واحدة الخوص، وهي ورق النخل والعرفج، يقال: أخوصت النخلة وأخوص العرفج إذا تقطرت بوزق.

ويضرب في القناعة بالقليل من الكثير.

١٣- «رمى الكلام على عواهنه» (٦١/٢).

قال الميداني: إذا لم يبال أصاب أم أخطأ.

قلت: [والقائل الميداني نفسه] أصل هذا التركيب يدل على سهولة ولين وقلة عناء في شيء، ومنه «العهن النفوش»، ورجل عاهن: أي كسلان مسترخ، والعواهن: عروق في رحم الناقة، ولعل المثل يكون من هذا، أي أن القائل من غير رؤية لا يعلم ما عاقبة قوله كما لا يعلم ما في الرحم.

أقول: قد يكون معنى المثل ما ذهب إليه الميداني الذي لمح الشبه بين إرسال القائل لقوله من غير روية وبين ما يكون في الرحم وهو أمر لا يعلم.

قد يكون هذا، ولكني أذهب فأقول: قد يحتمل المثل شيئاً مما لم يعلم فيكون ما يرسل من غير روية بما يرميه صاحب النخل من العواهن التي هي السعفات اللواتي يلين القلب ليشير إلى أن البسر قارب النضج، وهو تظاهر بالشيء قد يصح ولا يصح.

١٤ - «شمل تعالى فوق خصبات الدقل» (١٧٦/٢).

قال الميداني: «الشمل والشتل» ما يبقى على النخل بعد الصرام، و«الخصبة»: النخلة الكثيرة الحمل، قال الأعشى:

كأن على أنسائها عذق خصبة تذلّى على الكافور غير مكّم
و«الدقل»: أردأ التمر.

يضرب لمن قل خيره، وإن استخرج منه شيء كان مع تعب وشدة.

أقول: في كتاب النخل لأبي حاتم (ص ٦١): الخصبة من أسماء النخلة، وكأني أقول: إنه صنف من النخل ورطبه يدعى «خصاب» من أصناف تمر البصرة ما زال معروفاً.

ثم إن «الدقل»^(١) لدى أهل النخل في البصرة هو النخل الذي أصله نوى، وكثير منه يكون فحلاً، وقليله لخل يحمل، وليس بالضرورة أن يكون أردأ التمر، فقد يأتي منه جيد.

١٥ - «أصاب ثمرة الغراب» (٢٣٣/٢).

قال الميداني: يضرب لمن يظفر بالشيء النفيس، لأن الغراب يختار أجود التمر.

١٦ - «أطول صُحبة من نخلتي حُلوان» (٢٩٨/٢).

قال الميداني: هذا من قول الشاعر:

(١) أقول: وتسمى سارية السفينة التي يشد بها الشراع «دقلاً» وكان الأصل فيها «جذع النخلة».

أسعداني يا نخلتي حلوان وارثيالي من ريب هذا الزمان
واعلمما إن بقيتُما أن نخسأ سوف يلقاكما فتفترقان
وكان المهدي خرج إلى أكناف حلوان متصيّداً، فانتهى إلى نخلتي حلوان، فنزل
تحتهما، وقعد للشرب فغناه المغني:

أيا نخلتي حلوان بالشغب إنمأ أشدُّ كما عن نخل جوخي شفاكما
إذا نحن جاوزنا الثية لم نزل على وجل من سيرنا أو نراكما
فهم بقطعهما فكتب إليه أبوه المنصور: مه يا بني واحذر أن تكون ذلك النحس
الذي ذكره الشاعر في خطابهما حيث قال:

واعلمما إن بقيتُما أن نخسأ سوف يلقاكما فتفترقان
أقول: هي «حلوان» في العراق، وانظر ما أثبتناه من معجم البلدان في «حلوان»
هذه، وحديث النخلتين.

١٧- «عرف النخل أهله» (٣٤٩/٢).

قال الميداني: أصله أن عبد القيس وشن بن أفضى لما ساروا يطلبون المتسع والريف
ويعثوا بالرواد والعيون، فبلغوا هجر وأرض البحرين، ومياهاً ظاهرة وقري عامرة
ونخلأ وريفاً وداراً أفضل وأريف من البلاد التي هم بها؛ ساروا إلى البحرين وضاموا
من بها من إياد والأزد وشدوا خيولهم بكرانيف النخل، فقالت إياد: عرف النخل
أهله، فذهبت مثلاً.

ويضرب عند وكول الأمر إلى أهله.

١٨- «أعط أخاك ثمرة فإن أبي فجمرة» (٣٥٠/٢).

قال الميداني: يضرب للذي يختار الهوان على الكرامة.

١٩- «عاذ الحيس يحاس» (٣٥٢/٢).

قال الميداني: يقال: «هذا الأمرُ حَيْسٌ» أي ليس مُحْكَمٌ، وذلك أن «الحَيْسَ» تمر يُخَلَطُ بِسَمْنٍ وَأَقِطٌ فلا يكون طعاماً فيه قوة، يقال: حاسٌ يحيس، إذا اتَّخَذَ حَيْساً، فصار الحَيْسُ اسماً للمخلوط، ومنه للذي أَحْدَقَتْ به الإماء من طَرْفَيْهِ: مَخْيُوسٌ، والمعنى: عاد الأمر المخلوط يخلط، أي عاد الفاسد يفسد.

وأصله أن رجلاً أَمَرَ بِأمر فلم يُحْكَمْ، فذَمَّ أمره فقام آخر لِيُحْكَمْ، ويجيء بخير منه فجاء بشرُّ منه، فقال الأمر: عادَ الحَيْسُ يُحاس، وقال:

تَعْيِيرُ أَمْرٍ أَمْ تَأْتِي مِثْلَهُ لَقَدْ حَاسَ هَذَا أَمْرٌ عِنْدَكَ حَائِسُ

٢٠- «قيل لِحُبْلَى: ما تَشْتَهِيْن؟ فقالت: التَّمْرُ وواهاً لَيْه» (٢/٤٧٥).

قال الميداني: أي أَشْتَهِي كُلَّ شَيْءٍ يَذْكُرُ لي مع التمر، وواهاً ليه: أي أَشْتَهِيهِ وَيُعْجِبُنِي. يُضْرَبُ لِمَنْ يَشْتَهِي مَا يَذْكُرُ.

٢١- «كُمُسْتَبْضِعَ التمرَ إِلَى هَجَرَ» (٣/٣٩).

قال الميداني: قال أبو عبيد: هذا من الأمثال المبتذلة ومن قديمها، وذلك أن هَجَرَ معدن التمر، والمستبضع إليه مَخْطُوعٌ، ويقال أيضاً: كُمُسْتَبْضِعَ التمرَ إِلَى خَيْبَرٍ، قال النابغة الجعدي:

وَإِنْ أَمْرُءَا أَهْدَى إِلَيْكَ قَصِيدَةً كُمُسْتَبْضِعَ تَمْرًا إِلَى أَرْضِ خَيْبَرَا

٢٢- «كُلُّ خَاطِبٍ عَلَى لِسَانِهِ ثَمْرَةٌ» (٣/٤٠)

قال الميداني: يُضْرَبُ للذي يَلِينُ كَلَامَهُ إِذَا طَلَّبَ حَاجَةً.

٢٣- «أَكْرَمَ مِنَ الْعُدَيْقِ الْمَرْجَبُ» (٣/٧٣).

قال الميداني:

قال حمزة: إن أكثر العرب تقول به غير ألف ولا م، والعُدَيْقُ: النَّخْلَةُ يكثر حملها فيجعل تحتها دِعامَةً، وتُسَمَّى «الرُّجْبَةُ»، ويقولون: رَجَبَتِ النَّخْلَةُ، ونخلة مُرْجَبَةٌ،

وعَذَقُ مُرَجَّب، فيقول: هو في الكَرَم كهذه النُّخلة، من كثرة حملها، وللأعداء إذا احتكَّوا به بمنزلة الجُدَّيل الذي مَنَ احتكَّ به كان دواءً من دائه.

٢٤- «ما كلُّ بيضاء شحمة، ولا كلُّ سوداء تمرة» (٣/ ٢٧٥).

قال الميداني: يُضرب في موضع التهمة.

٢٥- «متى كان حُكم الله في كَرَب النُّخل» (٣/ ٢٧٦).

قال الميداني: كَرَب النُّخل: أصول السعف أمثال الكتف.

قال أبو عبيدة: وهذا المثل لجرير بن الحنظلي يقوله لرجل من عبد قيس شاعر. اسمه الصِّلَتان العبدِيَّ كان قال لجرير:

أرى شاعراً لا شاعر اليوم مثله جرير ولكن في كُليبٍ تواضعُ
فقال جرير:

أقول ولم أملك بوادِرَ دمعتي متى كان حكمُ الله في كَرَبِ النُّخل
وذلك أن بلاد عبد القيس بلاد النُّخل، فلهذا قاله.

ويُضرب لمن يضع نفسه حيث لا يستأهل.

٢٦- «ما ظَلَمْتُهُ نقيراً ولا فتيلاً» (٣/ ٢٧٧).

قال الميداني: النقيير هو النقرة في ظهر النواة، والفتيل: ما يكون في شِقِّ النواة، أي ما ظَلَمْتُهُ شيئاً.

٢٧- «وَجَدَ تَمَرَةَ الغُرَاب» (٣/ ٤٢٤).

قال الميداني: يُضرب لمن وَجَدَ أفضلَ ما يريد.

وذلك أن الغراب يطلب من التمر أجوده وأطيبه.

معجم النخل

لقد كان من درس طويل لي أن وقفت على ألفاظ خاصة بالنخل لقد عرفت هذا فيما كان للأصمعي في «كتاب النخل»، وما كان لأبي حاتم السجستاني في «كتاب النخل». ثم تحولت إلى معجمات العربية ولا سيما المطولة وعلى رأسها «لسان العرب». وقد رأيت أن أبسط ما كان لي على حروف المعجم:

١- أبر:

«الأبور» ما يُلْقَح به النخل، والفعل «أَبَرَ» بمعنى «لَقَح».

أقول: ومجيء «أبور» لهذه الدلالة جارٍ على الوارد على بناء «فَعول» من الأشربة والعلاجات ونحو ذلك كالصُّبوح والغُبوق والفُطُور والوَجُور والسُّفوف، والوَضوء وغيرها.

وقال طرفة:

ولي الأصل الذي في مثله يصلح الأبرر زرع المؤثر

ويقال للنخلة التي تُلْقَح بطلعها الإبار (انظر: كتاب «النخل لأبي حاتم السجستاني»)

٢- أبلم:

«الأبلم» هو «الخص» ، والواحدة «أبلمة» وهذا في لغة أهل الحجاز من الأوس والخزرج، و«الأبلمة» لدى غيرهم خوصة المقلّة.

٣- أشكل:

انظر: عثكل.

٤- آخر:

أقول: إذا كانت النُّخْلَةُ مِمَّا يَبْقَى حَمْلُهَا إِلَى آخِرِ الصُّرَامِ، قِيلَ: إِنَّهَا «مِثْخَارٌ»، وَجَمَعَهَا «مَأْخِيرٌ».

٥- أدم:

«الْأَذْمَةُ» هِيَ النُّخْلَةُ الدَّقِيقَةُ الْعُرْجُونُ.

٦- أزر:

أقول: «الْمُؤْتَزَّرَةُ» هِيَ النُّخْلَةُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي تَجَاوَزَتْ «الْلَيْنَةَ»، انْظُرْ: لَيْنَةٌ.

٧- أسل:

قالوا: «الْأَسْلُ» مِنْ مَعَانِيهِ الشُّوكُ وَهُوَ «السَّلَاءُ»، وَاحْدَتُهُ «أَسْلَةٌ» وَانْظُرْ «سَلًا».

٨- أشأ:

«الْأَشَاءُ» هُوَ الْفَسِيلُ، وَاحْدَتُهُ أَشَاءَةٌ، وَانْظُرْ «فَسَلٌ»، قَالَ الشَّمَاخُ:

مِثْلُ الْأَشَاءَاتِ أَوْ الْبَرْدِيَّاتِ أَوْ الْغَمَامَاتِ أَوْ الْوَدْيَاتِ

٩- أهن:

قال أبو زيد: يُقَالُ لَمَّا سَقُلَ مِنَ الْعِذْقِ مَنْ لَدُنِ الشَّمَارِيخِ إِلَى أَصْلِ فِي النُّخْلَةِ «الْعُرْجُونُ» وَالْجَمْعُ «الْعَرَاجِينُ» وَيُقَالُ لَهُ أَيْضاً «الْإِهَانُ»، وَثَلَاثَةُ أَهْنَةٍ، وَالْجَمِيعُ: «أَهْنٌ».

١٠- أوتك:

قالوا: «الْأَوْتُكِيُّ» مِنْ أَصْنَافِ التَّمْرِ، وَأَنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ:

فَمَا أَطْعَمُونَا الْأَوْتُكِيَّ مِنْ سَمَاحَةٍ وَلَا مَنَعُوا الْبَرْنَئِيَّ إِلَّا مِنَ اللَّوْمِ

١١- بتل:

قالوا: «البتيلة» هي الفسيلة بانت عن أمها واستغنت عنها، وقيل لأمتها «مُبتل». أقول: «والبتل» هو القطع في الأصل و«البَتول».

١٢- بَرِينْد:

من الفارسية الدرية، وهو «الْبَرُونْد» باستعمال العاملين بالنخل في البصرة، وهو المِرْقاة التي يُصعد به على النخلة. وهو في عصرنا «الْفَرُونْد» في لغة أهل البصرة. وإنه «تَبْلِيَه» في استعمال العراقيين غير أهل البصرة. وهذه كلمة آرامية عَرَفَهَا العراقيون، وهي تشير إلى العهود التاريخية التي كان فيها السريان يعملون في الفلاحة وفي فصيح العربية «الْكُرَّ» وهو «الحَلَق» أيضاً.

١٣- برشم:

و«الْبَرَشوم» من أصناف التمر.

قال أبو زيد: يقال: «للبَرَشوم»: الأعراف. انظر: «كتاب النخل» للسجستاني (ص ٩١).

١٤- برن:

و«الْبَرْنِي» من أصناف التمر العالية، وقد قالوا: إنه خير التمر وأجوده وأصَحُّه^(١).

١٥- بسر:

قالوا: إذا فصل اللون إلى الحمرة أو الصفرة فهو «الْبُسْر» قال ذو جَدَن الحميري: ونخلته^(٢) التي غُرِسَتْ إليه يكاد البُسْر يُهَضَرُ بالعذوق

(١) وفي الحديث: «خير ثمرانكم البرني».

(٢) و«الميسار» النخلة ذات البُسْر الجيد.

١٦- بعْل:

قالوا: إذا كان النُّخل يأخذ من عيون الأرض يُسَمَّى «بُعْلاً» أو جازئاً.

أقول: و«بُعْل» كلمة قديمة عُرِفَتْ في الآداب السامية، وهي تشير إلى إله المطر، وقد ورثت العربية هذه الكلمة لزواج المرأة، قال تعالى: ﴿وَلَا يُنْدِينُ زَيْتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]

١٧- بسق:

أقول: و«الباسقة» والجمع «بواسق» و«باسقات» هي النُّخلة الطويلة، قال معروف الرصافي في استقباله لأمين الريحاني:

إنَّ العراقَ بعرضه وبطولهِ ويرافدِيه وباسقات نخيلهِ

١٨- بكر:

قالوا: «البُكور» هي النُّخلة التي تُعَجَّلُ الإخراج، والجمع «بُكْر». وهي «الباكورة» والجمع «بواكير». ويقال لما عَجَلَ من الثمار من كلِّ شيء «باكورة». ونخلة «مُبَكَّرَة» و«مبكار» والجمع «مباكير». انظر: «كتاب النُّخل» للسجستاني (ص ٥٧، ٩٢).

١٩- بلح:

قالوا: يقال للرطبة قبل أن تنضج ويكتمل نضجها وهي خضراء «بَلْحَة» والكثير «البَلَح».

٢٠- بلعق:

قالوا: «البَلْعَق» تمر بعُمان. ذكرها أبو حاتم في «كتاب النُّخل» (ص ٩٢).

٢١- بهر:

قال أبو حاتم: فإذا اخضرَّ «البَلَح» وتلون قليلاً قيل: قد «تَشَقَّح» و«صياً» و«بَهَر» بَهراً. انظر: «كتاب النُّخل» (ص ٧٧).

٢٢- تبر:

قالوا: «التَّبْرِي» حمرة تكون في قُلْب النُّخْلة، كأنها قطع الأديم.
قال أبو حاتم: ما يُبَشِّر منه وَيُدَقَّ يَرْقَأ به الدم. انظر: «كتاب النُّخل» (ص ٩٨).

٢٣- تبل:

تَبْلِيَه أو تبليا انظر: بربند.

٢٤- ترك:

و«الترائك»: آخر حَمَل النُّخْلة. انظر: «كتاب النُّخل» (ص ١٠٥).

٢٥- تعد:

و«التُّعد»: الرُّطب اللين.

٢٦- ثعلب:

قالوا: مما يدلّ عليه «الثُّعْلَب» مخرج الماء في «المِرْبَد»^(١) انظر: «كتاب النُّخل» (ص ٩٦-٩٩).

٢٧- ثلث:

قالوا: إذا بَلَغ الإِرطاب في الرُّطبة ثُلثينها قيل: «مثلثة»، وقد ثلثت ثلثيناً.

٢٨- ثضرق:

وقالوا: «الثُّفروق» هو القِمع، كأن تكون بُسْرَتان أو ثلاث في ثُفروق واحد.

(١) أقول: هو «مِفْعَل» مع دلالة على المكان.

٢٩- ثفن:

«الثفنة»

قال أبو حاتم: هي بقية التمر في أسفل الجلّة، وتُسمّى «القوس» انظر: «كتاب النخل» (ص ١٠٢)

أقول: ولم أجد هذا الذي أثبتّه أبو حاتم في معجمات العربية (ثفن).

٣٠- جيب:

أقول: «الجباب» بكسر الجيم هو الصّرام وهو الجِرام والجِراز والقطاع، وكلّها مصدر «فَعَلَ»:

جَبَّ وصَرَّمَ وجَرَّمَ وجَزَّ وقَطَعَ.

٣١- جبذ:

ويقال للجُمارة: «جَذَبَة» وهي «جَبَذَة».

٣٢- جبر:

قالوا: إذا فاتت النخلة اليد وأرقت فهي «الجَبَّارة» والجمع «الجَبَّار».

٣٣- جثث:

أقول: وفي هذا «الجثيثة»، وتأتي في ترتيب النخل على ما أثبت أهل العربية فقالوا: أول أسماء «الفسيل» هو «الغريس» وذلك حين يكون «خَزَازة» أو «خَزَة» وهي عود واحد في أصل أمها حتى تصير على ثلاثة أعصبة أو أربعة، ثم هي «الْقُلْعَة» ثم هي «الجثيثة». والجمع «الجثيث»، وذلك أول ما تُقْلَع عن أمهاتها. يقال: جَثَّ فلان فسيل أرضه، وقد اجثَّ من النخل خمس فساتل، أي قْلَعَهْنَ، وجَثَّ يَجْثُ.

٣٤- جثل:

يقال: «اجثأل» الفسيل، أي انتشر.

أقول: و«الجثل» هو الكثير الوفير كالشعر ونحوه، ويقال أيضاً للشجر.

٣٥- جدد:

قالوا: «الجداد» بفتح الجيم هو «القطاع» وانظر «جَبَب».

أقول: ومثل «الجداد» بفتح الفاء: الجزاز والجزال.

٣٦- جدر:

قال أبو حاتم: يقال في «البُسْر» قد «فَصَلَّ» وهو أن يبين خَلْقَ البُسرة مع «القِمَع»، ثم تصير بعد ذلك «جَدْرًا» و«جَذْمًا» ساعة يعقد. انظر: «كتاب النخل» (ص ٧٤).

٣٧- جدل:

وقال أبو حاتم: فإذا بَلَغْتَ «البَلْحة» أن تخضر وتستدير قبل أن تشتد فأهل نجد يُسمونها «الجْدالة» والجمع «جَدال»^(١) انظر «كتاب النخل» (ص ٧٥).

٣٨- جدم:

قال أبو زيد: و«الجَدَم» والواحدة «جَدمة» يقال في النخل لا يكاد يرتفع ولا يطول. ذكر هذا أبو حاتم (ص ٦٤).

(١) قال المخيل السعدي:

فسارت إلى يَبْرينَ خمساً فاصْبَحَتْ يُجَرُّ على أيدي السُّفاة جَدالُها

٣٩- جذب:

انظر «جذب».

٤٠- جذع:

أقول: «الجذع» للنخلة كالساق للشجرة، قال أوس بن حجر:

وَقَتْلَى كَمَثَلِ جَذْوَعِ النَّخْلِ تَغْشَاهُمْ مَسْبِلٌ مِنْهُمْ

وقال دريد بن الصمة:

يَفُوتُ طَوِيلَ الْقَوْمِ عَقْدَ إِزَارِهِ مَنِيفٌ كَجِذْعِ النَّخْلَةِ الْمُتَجَرِّدِ

٤١- جذم:

انظر: جذر.

٤٢- جرد:

قالوا: «الجريد» والواحدة «جريدة» وهو «السَّعْف» والواحدة «سَعْفَة».

أقول: ولكنهم فرقوا بينهما فقالوا: وإذا خُرِطَ الخوصُ عن السَّعْفَةِ فهي جريدة وكان «جريدة» فعيلة بمعنى مفعولة أي مجرودة.

٤٣- جرم:

قالوا: «الجريم» سقطة التمر وقشوره و«الجرامة» هو الفاسد من التمر. وانظر

«جدد» وانظر «كتاب النخل» (ص ٨٤، ٩٤)

٤٤- جرن:

انظر: «جوخ»

٤٥- جزز:

انظر: «جدد» والجازة من النخل هي الرطبة الجاسنة الصلبة: ذكره أبو حاتم.

٤٦- جزع:

قال أبو حاتم: فإذا بلغ الإرتاب نصف الرطبة قيل: قد نصّف البسر وهو «المجزع» ذكره أبو حاتم (ص ٧٨).

٤٧- جزل:

انظر: «جدد»

٤٨- جزم:

قال أبو حاتم: «الجزم» أن يشتري تمر النخل في رؤوسها. «كتاب النخل» (ص ٩٤).

٤٩- جعثن:

وقالوا: «الجعثة» هي النخلة الرديء سبرها، الخبيث مغرسها.

٥٠- جعر:

قالوا: «الجعارير» القصار من النخل، والواحدة «جعرور».

٥١- جعل:

قالوا: «الجعل» هو النخل القصار، والواحدة «جعلة».

٥٢- جفض:

قال أبو حاتم: يقال لوعاء الطلعة «الكافور» والجمع «كوافير»، و«السايباء»، و«القيقاء»، و«الهراء»، و«الجف»، وجمعه جُفوف وجِففة (ص ٦٧).

قال عديّ بن زيد:

ويقسّم عن نَيْرٍ كالوليع شَقَقَ عنه الرُّمَاءُ الجفوفاً

٥٣- جمر:

قالوا: «الجُمَّارة» هي «الشحمة» ويقال للجُمَّارة أيضاً «الكثرة».

أقول: وقالوا: «الجامور» أيضاً، وكأنّي أرى هذه في السريانية الشرقية، وقد سُمِعت من العاملين في الفلاحة وكان الكثير منهم من نصارى العراق وغيرهم^(١).

٥٤- جمس:

قال أبو حاتم: «الجُمُس» وواحدته «جُمْسَة»، وهي التي دخلها الإرتطاب. «كتاب النخل» (ص ٧٩).

٥٥- جمع:

انظر: «دقل».

٥٦- جوخ:

يقول أهل البصرة للموضع الذي يُعرض فيه التمر ليُجفَ «الجَوْخَان»، وهو «المِرْبَد» لدى أهل المدينة، و«الجَريْن» لدى أهل نجد، وهو «المسطح» و«الطابة» و«الربيد» و«الفداء»، ذكر هذه الفوائد أبو حاتم (ص ٩٥).

أقول: و«الجوخان» فارسية عربّها أهل العراق، ولم يذكرها ابن الجواليقي في «المعرب».

(١) وأنشد أبو زيد لحسان: «كأنّه في مقدّ اللّيت جامور».

٥٧- حثل:

قال أبو زيد «الحَشَف» هو ما تَحَشَفَ أي تَقَبَّضَ وييس، ولم يكن له لحاء ولا دِنَس. قال: ويقال له: «الحَثَا» و«الحَفَا» أيضاً.

وقال بعضهم: «الحَفَا» و«الحَفَالَة» و«الحَثَالَة» واحد، وهو التمر الرديء، و«الحشافة» هي الفاسد من التمر ذكر هذا أبو حاتم (ص ٨٣).

و«الإحشاف»: هو العَرّ.

أقول: كأن «حُثَالَة» هو الرديء من كل شيء، ولنا هذا مما نجده في عريبتنا المعاصرة.

٥٨- حثكل:

انظر: عثكل.

٥٩- حثو:

انظر: حثل.

٦٠- حزن:

قالوا: «الحَزَان» من التمر الفاسد.

٦١- حسف:

قالوا: «المتحسفة» هي الرُّطْبَة اليابسة الصلبة، وقد «تَحَسَفَ» قشرها.

٦٢- حشد:

قال أبو حاتم: فإذا كَثُرَ حمل النُّخْلَة قيل: قد «حَشَكْتَ» وهي «حاشك» وهُنَّ «حَوَاشِك»، ويقال: «حاشد» انظر (ص ٨١).

٦٣- حشش:

ويقال لبستان النخل: «حشّ»، والجمع «حِشّان» بضم الحاء وكسرهما، ويقال أيضاً: «حائش» وجمعه «حوائش» وهو أيضاً «حِشّ» بكسر الحاء، وجمعه «حِشّان». ذكر هذا كله أبو حاتم (ص ٨١).

٦٤- حشف:

انظر: «حثل»

٦٥- حشك:

انظر: «حشد»

٦٦- حصب:

قال أبو حاتم: وإذا كانت النخلة خبيثة قيل: «مُحْصِبة» (ص ٨١). أقول كأن هذا تشبيه لتمررها بالحصباء وهي «الحَصَى» قال تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾. ٦٧- حصل:

قالوا: «حَصَلَ» النخل، وذلك إذا بقي له شهران حتى يدرك، وهو «الحَصَل».

٦٨- حقب:

قال أبو حاتم: وإذا أثمرت النخلة في رأسها قيل: هي «صَبْغة» و«حَقْبة»، والبُسْر: «مُصْبَغ» و«مُحْقَب»، وهو «التصبيغ» و«التحقيب» (ص ٧٧).

٦٩- حلق:

انظر: «برَبْنَد»

٧٠- حلقم:

وهو «حلقن» بالنون. وحَلَقَم الرُّطْبَ وحَلَقَن، ورُطْبَة «حُلْقَانَة» و«مُحَلِّقَة» و«مُحَلِّقَة»، وكذلك «مُعَنْقَة»، وذلك حين يبقى منها حول القمع مثل الخاتم. ذكره أبو حاتم (ص ٧٨).

٧١- حلقن:

انظر: «حلقم»

٧٢- حلي:

قال أبو حاتم: وربما جُدَّت النُّخْلَة وهي «باسرة» بعدما «أُحْلَت» لِيُخَفَّفَ منها أو يُتَخَوَّفَ عليه السَّرَقُ فيترك حتى يكون تمراً فيقال: هو «رَجِيع» و«غَنِيظ» (ص ٨٢).

٧٣- حمل:

قالوا: «الحامل» من النُّخْلِ تلك التي لَفِحَتْ فصار فيها البَلَحُ ثم البُسْر.

٧٤- حنيط:

قال أبو حاتم: يقال «حَنْط» البُسْر إذا اشتدَّت حُمْرته فهو «حَانِط» وإذا انتهت حُمْرته فهو «القَانِي» (ص ٧٢، ٧٧).

٧٥- حول:

قالوا: وإذا قَعَدَت النُّخْلَة سَنَةً فلم تحمل قيل: نخلة «حائل»، وقد «حال» لخل فلان، وهُنَّ «حَوَائِل».

٧٦- خردل:

قال أبو حاتم: إذا كنز «نَفْض» النُّخْلَة وعظم ما بقي لبُسْرها قيل: «خَرَدَلَت».

وهي «مخردلة» (ص ٨٩).

٧٧- خرص:

قالوا: «الخارص» مَنْ يُقَدِّرُ عدد النُّخْل وحمله، وهو «المُجْتَرِم»، قال الأعشى:
هو الواهب المثة المُنْظَفَاة كالنُّخْل طاف به المُجْتَرِم
انظر: «الصباح المنير» (ص ٣٢).

ويقال: خَرَصَه يَخْرُصُه خَرَصاً، والاسم: «الخِرْص»، ويقال: خِرْص ثمرته كذا وكذا.
و«الخِرْص» عام للنخل وغيره^(١).

٧٨- خرف:

يقال: «أخرفت» الرجل إذا وهب له تَمْر نَخْلَةٍ يأكله. وإذا اشترى الرجل نَخْلَات
يَأْكُلُهُنَّ قِيلَ: اشترى «مَخْرَفَةً» و«مُخْرَفًا». ويقال للزَّيْبِل «مِخْرَف» وهو «المِكَتَل».
و«الخارف»: الحافظ في النُّخْل، والجمع «خُرَاف» و«خَرَف».

٧٩- خرز:

انظر: جثث

٨٠- خصب:

قال أبو حاتم: «الْخَصْبَةُ» من أسماء النُّخْلَة مثل «العَيْدَانَةُ» و«الرَّغْلَةُ» و«الرَّقْلَةُ»،
والجمع «خِصَاب» انظر (ص ٦١).

(١) و«الخِرْصان» جمع خرص وهو فرع النخل أي «الجريدة».

٨١- خصف:

قالوا: يُكَنَزُ التمر في «الزُّبْل» حتى يُكَنَزَ في «الخَصْف»، والواحدة «الخَصْفَة» وهي ما يُسَفَّ من الخوص كالنسيج.

٨٢- خضي:

قال أبو حاتم: والسَّعَفَات، التي تلي القَلْبَة يقول لها الحجازيون «العَوَاهِن»، وأهل نجد يقولون لها: «الخوافي». والواحدة «عاهنة» و«خافية». انظر (ص ٦٥، ٧٠).

٨٣- خلب:

وقال أبو حاتم: و«الخُلْب» هو الليف الأبيض الناعم النقي، وهو «كِمامه» انظر (ص ٩٧) وقالوا: الواحدة «خُلْبَة». قال المثقّب العبدي:

يتبعه في إثره واصـلٌ مثل رشاء الخُلْب الأجرـدِ

٨٤- خلف:

قالوا: إذا الإرطاب قيل: بُسْرَة: «مُخْلَفَة»
وقال أبو زيد: ولا يقال: رُطْبَة «مُخْلَفَة»، إنما يقال: بُسْرَة «مُخْلَفَة»
وأجازها أبو حاتم (ص ٧٨).

٨٥- خنث:

قال أبو حاتم: و«المخانيث» من النُّخل ما لُقِّح بطلعها، وما بقي يصير بُسْراً طيباً، وواحد المخانيث «مُخْنَث» انظر (ص ٧٣).

٨٦- خنص:

قالوا: فإذا بَزَغ من النواة فهي «نَجْمَة»، وهي «شوكة»، ثم تصير «خوصة» وهي

«الختاصة» بلغة طيء، والجمع «ختاص» ذكره أبو حاتم (ص ٥٣).

٨٧- خور:

قال أبو حاتم: «والصفى» من النخل: الكثيرة الحمل، وإذا كانت غزيرة الحمل قيل: نخلة «خَوَّارة» «كتاب النخل» (ص ٨٧).

٨٨- خوص:

و«الخوصة» انظر: «خنص». وقيل: «الخوص» يابس، والسَّعْف رطب. وأخوصت النخلة، وقال عبدة بن الطبيب:

حَواجِلٌ مُلئتْ زَيْتاً مَجْرَدَةً لَيْستَ عليهنَّ منْ خُوصٍ سَواجِلُ
والسواجيل جمع ساجول أو سوجل، وهو الغلاف.

٨٩- دبس:

أقول: «الدبس» وهو «عسل» التمر، معروف.

٩٠- دبق:

أقول: وتُسمَّى أصول السعف العراض «الكرانيف» والواحدة «كُرْنافة» والعريضة مثل الكتف هي «الكربة»، والجمع «الكرب». والأكرة يُسمونها «الدبوق» و«الدَّبوق» و«الدَّبوق» من الكلم الآرامي. ذكرها القرداحي في «اللباب».

٩١- دخل:

قال أبو حاتم: «الدَّوْخَلَة» وعاء يوضع فيه التمر، وهو ما يُسَفَّ من الخوص. وهي «الوشجة» في كلام أهل اليمامة، وهي «القَوْصَرَة» أيضاً. انظر ص (١٠١).

أقول: وما زالت «القَوْصَرَة» معروفة.

٩٢- درب:

انظر: جوخ وبرَبْنَد، ودَرْب.

٩٣- دَعَع:

أقول: «الدَّعاع» هو المتفرَّق من النَّخل ذكره أبو حاتم (ص ٩٨).

٩٤- دَقَل:

قال أبو حاتم: «الدَّقَل» وهو الألوان [من أصناف الثمر]. و«الدَّقَل» يُسَمَّى «الرَّعَال» والواحدة «رَعَلَة» انظر (ص ٨٠).

أقول: وما زال «الدَّقَل» معروفاً لدى أهل النَّخل في العراقيين وهو لديهم «النَّخل» أصله النَّوى، ولم يُغرس فسيلاً. وأهل المدينة يسمون ما لا يعرف من النَّخل «جمعاً». والكلمة آرامية، ذكرها القرداحي وغيره.

٩٥- دَمَن:

قالوا: إذا انشَقَّت الطَّلعة عن عَفَنٍ وسوادٍ قيل أصاب النَّخلة «الدَّمان» وقالوا: إنه «الدَّمان» فخَفَّتْ الهمزة ذكر هذا أبو حاتم (ص ٧٦، ٨٠).

٩٦- ذَنَب:

قالوا: إذا أرطَبَت البُسرة من أسفلها قيل: قد «ذُنِبَت»، ويقال لذلك البُسرة «التَّذنوب» والواحدة «تَذنوبة» وأهل عُمان يُسمون «التذنوب»: «القارن».

٩٧- رَأَي:

قال أبو حاتم: ويقال: «تَرَأَى» النَّخل، بوزن «تَرَأَى» إذا أثمر شيئاً الواحدة أو الاثنتين انظر (ص ٧٨).

٩٨- ريد:

أقول: «رييد» و«مريد» انظر «جوخ» (ص ٩٥).

٩٩- ربط:

قالوا: إذا يبس «البُسْر» ووضِع وصُبَّ عليه الماء فذلك «الرُّبِيط» لأنه يربط بعضه بعضاً ذكره أبو حاتم (ص ٨٢).

١٠٠- رجب:

قال الأصمعي: إذا كَرَمَت النُّخْلَة ونَفَسَ فيها، ثم مالت بُني تحتها من قِبَل المَيْل كالِدُكَّانِ يمسكها، وذلك الدُّكَّانُ يُسَمَّى «الرُّجْبَة»، وتلك النُّخْلَة «الرُّجْبِيَّة» و«الرُّجْبِيَّة». انظر «كتاب النخل» للأصمعي (ط الكاثوليكية) بعناية «هفتر».

١٠١- ردف:

وقالوا: إذا كانت «الفسيلة» في الجذع، ولم تكن مستأرضة، فهي من خسيس «الودّي» وتُسَمَّى «الراكب» وقالوا: «الرواكب» هي «الروادف» واحدها «رادفة».

أقول: وهو لدى أهل النخل في جنوبي العراق «الراكوب»، وكأنّ هذا مما أطلقه العاملون في الأرض من الآراميين، وذلك لأن بناء «فاعول» كثير عند السريان^(١).

وقال أبو حاتم: قال بعض اليماميّين أن هذه النُّخْلَة هي «العواق» والواحدة «عاق» إذا كانت في العُشْب الحُضْر، فإذا كانت في الجذع ولا تَمَسُّ الأرض فهي «الراكبة» (ص ٥٦).

١٠٢- رطب:

أقول: و«الإرطاب» أن تبدأ «الرُّطْبَة» في الإدراك لتنضج، ويقال: «الترطيب» أيضاً.

(١) أقول: بناء فاعول فصل في كتاب لي بين العربية والسريانية.

قال عامر بن جُوَيْن:

أَفْأَثْلًا قَلْتَ تَحْسُبُهُمْ أَمْ نَحْيَلًا أَيْنَعْتَ رُطْبًا

١٠٣- رعل:

أقول: و«الرَّعْلَة» وجمعها «رِعال»، وثلاث «رَعَلات»، وهي من أسماء «النخلة».

وانظر: «دقل».

١٠٤- رفض:

يقال: «رَفَضَ» النخل إذا انتشر العِذْق وسقط «القيقاء» عنه، وواحدة القيقاء «قيقاء» أي وعاء الطَّلْع.

١٠٥- رقل:

أقول: و«الرَّقْلَة» من أسماء النخلة، والجمع «رِقال» وثلاث «رَقَلات»، وهي الجبَّارة إذا طالت.

١٠٦- رقي:

أقول: «المِرْقاة» انظر: بَرَيْتند.

١٠٧- ركز:

وقالوا في الفسيلة هي «وَدْيَة» حيث تركزها في الأرض، فإذا ركزتها فهي «رَكْزَة» حتى تنتشر ثابتة، ثم هي «الغربة» ما مشت الحياة فيها.

١٠٨- رمخ:

أقول: و«الرَّمْخ» من البَلَح، وهو أخضر بعد...

١٠٩- رمل:

قالوا: يُجَعَلُ للنخلة «شمال» و«رمل» ليسقط ما سَقَطَ منها فيهما، فأما «الشُّمال» فثوب يُجَعَلُ فوق العُصْب، ويُلَوَّى قنوها بالثوب حتى يسقط فيه التَّمْر. و«الرُّمال» من العُصْب ثَلَاثٌ كما يَلَاءَمُ الثوب، ثم يُجَعَلُ كهَيْئَةِ «الشُّمال».

ذكر أبو حاتم هذا (ص ٩٧).

١١٠- زيل:

أقول: و«الزَّيْل» هو «المِخْتَل» وهو الوعاء الذي يُكْتَزُ فيه التمر. وقالوا: وإذا قيل «زَيْل» بالنون كُسِرَت الزاي.

١١١- زرع:

قال أبو حاتم: ما يوضع من النوى في الأرض ليكون فَسِيلًا، ويبقى خَمْسَ عشرة ليلة إلى العشرين يُسَمَّى «الزُّرَيْعَةُ» والجمع «زُرْعَان» (ص ٥٤).

١١٢- زهو:

وقال أبو حاتم: و«عَسَا يَعْسُو عُسْوًا»، ثم قيل: «يُزْهِي» بعد «التَّصْنِيءِ»، فيصير «زَهْوًا» و«زُهْوًا»، وقد أَزْهَى النُّخْلُ إذا خَلَصَ لون البُسْرِ فيه. و«صَيًّا» النُّخْلُ: عُرِفَت ألوانه (ص ٧٧).

وقال امرؤ القيس:

وأَرْضَى بني الرُّبْدَاءِ واعْتَمَّ زَهْوُهُ وأَكْمَامُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَهَضَّأُوا

١١٣- سبت:

وقال أبو حاتم: وإذا نَضِجَت [أي الرُّطْبَةُ] فصارت رُطْبَةً كأنها بُسْرَةٌ قيل لها: «مُنْسَبَةٌ»، و«مَهْوَةٌ»، و«مَغْوَةٌ» (ص ٧٩).

١١٤ - سجر:

وقالوا: وأصل الجُمارة إلى الجذع يُدعى «الساجور» (ص ٨٨، ٩٨).

١١٥ - سبغل:

وقالوا: رُطبة «مُسبغلة» إذا كانت لينة سريعة المُر في الحلق.

١١٦ - سحق:

قال أبو حاتم: إذا تجردت النخلة، وسليست أي وقع كَرَبُها وطالت فهي «قِرَواح» والجمع «قراويح» وهي «السُّحوق» و«الطُّروق» والجمع «سُحُق» و«سَحائق»، و«طُرُق»، و«طرائق» (ص ٦٢).

١١٧ - سخل:

ويقال: نخلة: «مُسَخَّلة» إذا ضعفت وضعف حملها، وقد «سَخَلَتْ»، ويقال تحملها «السُّخْل».

١١٨ - سدي:

وقالوا: إذا وقع البَلَح وقد استرخت تفاريقه قيل: «أسَدَتْ» النخلة. وإسداؤها عند تمام البُسْر ويَلَح «سَد».

و«الإسداء» أيضاً أن يُرطب أحد شِقَي البُسرة قبل إناءه من مرض كأنه خِداج، وهو «السُّدَي»، والواحدة «سَداء» (ص ٧٦).

١١٩ - سرد:

وقالوا: «السُّراد» من التمر مثل الحَشَف، والواحدة «سَرادة».

١٢٠- سطح:

و«المسطح» انظر «جوخ».

١٢١- سَعَف:

انظر «جرد» و«خفي»

أقول: ومن شواهد العربية قول امرئ القيس:

وأركبُ في السَّروُع خَيْفَانَةً كَسَا وجهها سَعَفٌ مُتَشِيرُ

١٢٢- سَفْض:

قال أبو زيد في كلامه على الخوص وما كان منه في العريية: .. فإذا صارت ثلاث خوصات فهي «الفرش»، ثم يتتابع الخوص حتى يكثر، ثم يَعْرُضُ فَيُدْعَى «السفيف».

وذكر هذا الأصمعي عن أبي زيد في «كتاب النخل».

١٢٣- سَقَط:

قال أبو زيد: يقال لكل شيء يسقط من النخل مما يفسد «النقض» و«اللُّقَط» و«السَّقَط»، كما يقال لما يقبض السلطان من الغنائم «القَبْض».

أقول: وفي كثير من الثلاثي على بناء «فَعَل» ما يفيد اسم المفعول، وكأنَّ هذا البناء الثلاثي قد سَبَقَ ما وصل إليه العربون باستعمال «الميم» لصوغ ما هو مفعول.

ومن هذا: السَّلَب والحَلَب، والنَّقْض والحَطَب وغيرها.

١٢٤- سَلَأ:

وقالوا: وإذا أعْسَبَ [أي السَّعَف] أخرج «شيفه» وهو شوكه بمؤخر العسيب وهو «الشوك» و«السلاء» و«الأسل» و«الشيف» (ص ٥٥).

١٢٥- سلخ:

وقال أبو حاتم: والنخلة إذا غطيت بالشمال أو الرمال فهي «مسلخة» (ص ٩٧).

١٢٦- سمم:

قال أبو زيد: يقال للبيئة التي تجعل من خوص شبيه الشفرة «السمة» والجمع «سُمَم»، وهي «النفيّة» والجمع «نفيّ».

١٢٧- سنه:

قال أبو حاتم: و«السَّنهَاء»^(١) النخلة المعاومة التي تحمل سنة وتخلف سنة، يقال: سانهت وعاومت (ص ٨٨).

أقول: إن «السَّنه» وهي المعروفة قد أفاد منها العربون فنظروا إلى حدود زمانها وإلى ما يكون من فعل الزمان، ومن هذا قولهم: «سَّنهَاء» للنخلة المعاومة، وهذه «المعاومة» هي أيضاً من كلمة «العام» ومعناها الزمان المعروف، ومن هذا قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

١٢٨- سهرز:

قالوا: السَّهرِيز من أصناف التمر، معرَّب عن الفارسية، ويقال له الأوتكي، والقطيبي، والسَّوادي، وأنشد أبو زيد:

فما أطعمونا الأوتكى من سماحة ولا منعوا البرني إلا من اللوم

(١) وقال سويد بن الصامت:

وليس بَسَنَهَاءٍ ولا رُجِيَّةٍ ولكن عرايا في السنين الجوائح

وأنشد أبو زيد أيضاً:

باتوا يُعشّون القُطَيْعَاءَ جَارَهُم وعندهم البرّنيّ في جُلّ دُسم

١٢٩- سود:

ومن أصناف التمر أيضاً «السّوادي» انظر (١٢٩).

١٣٠- سيب:

و«الساياء» انظر، جفف (ص ٦٧).

و«السّيّاب» واحدها «سَيّابة» انظر: (ص ٧٦) وهذه بلغة البحرين.

أقول: و«السّيّاب» بلغة وادي القرى، قال أحيحة بن الجلاح:

اقسمتُ لا أعطيـك في كَغـب ومقتله سـيـابة

وقال الأعشى:

أيام تجلونا عن باردٍ رتلٍ نخال نكهتها بالليل سـيـابا

١٣١- شجر:

وقال أبو زيد: و«التشجير» أن يشدّوا الأعذاق مع السعف بالشُرط كيلا تتحرك بعروقها وتنكسر، وذلك إذا وَقَعَ فيها الرُطْب.

قال: وهذا يفعله أهل عُمان، وأما أهل البصرة فيأخذون العِذْق إذا تَدَلَّى فخافوا أن يتكسر فيضعونه على السَّعْفَةِ التي تحته، ويمكنون له لكيلا ينقلب، فذلك «التشجير»، ويقال:

شَجَرُ نَخْلِكَ. ذكر هذا أبو حاتم (ص ٨٨).

أقول: ويُسمّى أهل النّخل في عصرنا هذه المعالجة «التركيس»

١٣٢- شحم:

قال أبو حاتم: «الشحمة» قَلْبُ النُّخْلة. وقالوا: تُمِخُ شحمتها [أي يكون لها مخ] (ص ٥٩)

١٣٣- شطب:

«شَطْبَةٌ» و«شَطَبَ» انظر: «خفي»

أقول: «الشَّطَبُ» هو السَّعْفُ الأخضر الرطب من جريد النخل. و«الشاطبة»: التي تعمل الحَصْر. و«الشواطب» النساء اللواتي يشققن الحَصْر، ويقشرن العُصْب ليتخذن منه الحصر.

١٣٤- شعب:

ومن أسماء «الفسيلة» «الشعيب» لأنها قد تشعبت أفناناً.

١٣٥- شقق:

قالوا: إذا اخضرَّ «البَلَح» وتلون قليلاً قيل: قد «تَشَقَّقَ» و«صَيَّا» و«بَهَرَ» وانظر «بهر».

١٣٦- شمرخ:

قال أبو حاتم: و«الأَبْر» أن تضرب في «شماريخ» الكافور ثلاث ضربات فتنفض فيه طحين «شِمراخ الفَحَال»، ويقال لذلك الطحين «الصُّواح». انظر (ص ٧٠).

وقالوا: إذا صُلِّبَت «الشماريخ» وتفرقت فهي «العناكيل» والواحد «شِمراخ» و«عُثْكَول».

ويقال: «أثْكَول» و«حْثْكَول»، وقد «تَعَثَّكَلَ»، القِنْو. وقالوا: «عِثْكَال» و«إِثْكَال» «لسان العرب».

١٣٧- شمل:

انظر (رمل).

١٣٨- شمم:

ويقال للنخلة الطويلة: «الشَّماء» والجمع «الشَّمَم» ذكره أبو حاتم (ص ٦٢).

١٣٩- شوك:

«الشوكة» انظر «أسل» و«سلا».

١٤٠- شيش:

وقالوا في «الفسيلة» إذا تشعبت فهي «شيشاء».

أقول: وما أنشده الفراء:

ما شئتَ من تمرٍ ومن شيشاء ينشَبُ في المنعَلِ وللهاء

وانظر «لسان العرب» (شيش)

١٤١- شيص:

قال أبو حاتم: ويُسمَّى «الفرد» من البسر الذي «يفضل» فلا نوى فيه «الصيصاء» و«الشَّيص»، انظر (ص ٧١).

١٤٢- شيف:

انظر: «أسل» و«سلا».

١٤٣- صبر:

قالوا: وإذا دقت النخلة من أسفلها، والمجرّد كَرَبْهَا قيل: قد «صنبرت» وهي

«صُنْبُور» وقال الخطيئة.

«صنابيرُ أخذان لمن حفيف»^(١)، «كتاب النخل» (ص ٦٣).

وقال بعضهم: الراكب الذي يخرج في جذع النخلة (ص ٦٤).

١٤٤- صبغ:

انظر «حقب»

١٤٥- صتم:

قال أبو زيد: ويقال أيضاً للنخل «الصتم».

١٤٦- صدع:

وقالوا: حين ينصدع الطلع يقال: نخل «صوادع» ويقال: «فوالق» و«فواطر»، و«مستطيرات»، والواحد: صادع وفالق وفاطر ومستطير (ص ٦٩).

١٤٧- صدي:

و«الصَّوَادِي» من النخل الطَّوَال، والواحدة صادية، وقال الشاعر:

«صَوَادٍ ما صَدَيْنَ وقَدروينا»^(٢).

١٤٨- صرم:

ويقال: تمر «صريم» وتمر «جريم» وتمر «جديد»، وقد صُرِمَ وجُرِمَ وجُدَّ.

(١) وصدر البيت في «اللسان»: «لَيْهِنِي تُرَاثِي لَامَرِي غَيْر ذَلَّةٍ».

(٢) وصدره في «اللسان»: «بَنَاتُ بَنَاتِهَا وَبَنَاتُ أُخْرَى» والبيت للمرَّار العدويّ.

١٤٩- صعل:

قال أبو حاتم: وإذا دَقَّت النُّخْلَةُ فهي «صَعْلَةٌ» (ص ٦٣).
أقول: و«الصَّعْلُ» في الرؤوس دَقَّة الرأس، وكذلك في «الأعناق».

١٥٠- صفر:

أقول: «والتصْفِير» أن لا يبقى في النُّخْل شيء من التمر.

١٥١- صفو:

قال أبو حاتم: «والصَّفْيُ» من النُّخْل الكثيرة الحَمَل، انظر «خور» (ص ٨٧).

١٥٢- صقر:

انظر «دبس»

١٥٣- صنو:

ويقال للنُّخْلَتَيْنِ أصلهما واحد: «صِنْوَان» مثْنى «صِنُو» والجمع «أصْنَاء»
و«صِنْوَان» مثل «قِنُو» ومثناها «قِنْوَان» والجمع «قِنْوَان» و«أقْنَاء»، وهو «العِذْق».

١٥٤- صوح:

و«الصُّوَّاح» انظر: شمرخ.

١٥٥- صور:

أقول: و«الصُّوْرَة» من النُّخْل التي عسيبها دقيق وأسفلها ضخمة. و«الصُّوْر» من
النُّخْل العشرون فما دونها، وقيل: «الصُّوْر» النُّخْل الملتف. (ص ٩٧، ١٠٦)
و«لسان العرب» «صور».

١٥٦- صوي:

و«الصَّوْيَةُ» النَّخْلَةُ الضَّعِيفَةُ (ص ١٠٦).

أقول: وما زالت هذه الكلمة تشير إلى ضعف الجسم في الإنسان والحيوان في الألسن.
ولنا أن ننظر دلالة الضعف في «صوي» وهذا يندرج في الإبدال بين الصاد والضاد.

١٥٧- صيء:

انظر: «زهو»

١٥٨- صيح:

و«الصَّيْحَانِيّ» ضَرْبٌ مِنَ النَّخْلِ وَالتَّمْرِ انظر: «لسان العرب» (صيح).

١٥٩- ضحك:

قالوا: الضَّحْكُ هُوَ الطَّلَعُ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ كَافُورُهُ بِلُغَةٍ بِلِحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، وَهُوَ الضَّحَّاكُ، وَقَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ:

فَجَاءَ بِمِزْجٍ لَمْ يَرِ النَّاسَ مِثْلَهُ هُوَ الضَّحْكُ إِلَّا أَنَّهُ عَمَلُ النَّخْلِ
انظر: «لسان العرب» (ضحك)، و«شعر الهذليين».

١٦٠- ضري:

قالوا: تُطْرَحُ عَصِيّ الْجَذَعِ بَعْدَمَا يُؤْخَذُ دَقِيقُهُ فِي الْمَاءِ فَيَكُونُ نَبِيذًا، فَإِذَا صَارَ طَيِّبًا، فَهُوَ «الضَّرِيّ» ذَكَرَهُ أَبُو حَاتِمٍ (ص ٩٩).

١٦١- ضلل:

وقالوا: إِنْ لَمْ يُنْفَضْ غَبَارُ الطَّلَعِ فِي «وَلِيع» الْإِنَاثِ، فَإِنَّ النَّخْلَةَ تَضِلُّ وَتُسَمَّى «الضَّالَّةً».

١٦٢- طرح:

و«الطُّرُوح» من النُّخْل التي ترمي بعذوقها فتبعدها، وجماعها «الطُّرُح» (ص ٨٧)
«لسان العرب» (طرح)

١٦٣- طرق:

انظر: سحق.

١٦٤- طعم:

قالوا: وإذا «أطعمت» النُّخْلَة فهي «مُطعم»

١٦٥- طضي:

و«الطُّفِيَّة» انظر «أبلمة».

١٦٦- الطلع:

قال أبو حاتم: «الطَّلَع» والواحدة «طَّلعة» وهي «الكافور» و«السايباء» و«القيقاء» و«الجُفَّ». ويقال للطلع «الوليع»، وربما جعلوا «الوليع» ما في جوف الكافور (ص ٦٨).

أقول: و«الطَّلَع» أيضاً أوّل حمل النُّخْلَة، وأوّل ما يُرى من عذوقها، وطلّعها نوزها، وكافور الطلعة وعافوها. قال المسيب بن علس:

غُلِبَ العذوق على كوافره متلفع بالليف متطقق

انظر: «لسان العرب» «كفر، ليف».

١٦٧- طني:

وأهل عُمان يُسمّون شراء الثَّمار «الطَّناء» يقال: أَطْنَيْتُهَا إذا بَعْتُهَا و«أَطْنَيْتُهَا» إذا اشْتَرَيْتُهَا.

١٦٨- طوي:

و«الطاية» انظر «جوخ».

١٦٩- طير:

«مستطيرات» انظر «صدع».

١٧٠- عثكل:

و«العثكول» و«العثكال» انظر: «شمروخ».

و«العثكال»: القنو ما لم يكن فيه رطب، فإن كان فيه فهو عذق. ومثله إثكال وأثكول وخثكول.

وقال امرء القيس:

وَفَرَعٌ يَغْشَى الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٌ كَقَيْنِو النُّخْلَةِ الْمُتَعَثِّكِلِ

١٧١- عجم:

يقال للنواة من كل شجرة «عَجْمَة» والجمع «عجم» وقال الأعشى:

غَزَاتُكَ بِالْخَيْلِ أَرْضَ الْعُدُوِّ وَجُدَعَانُهَا كَلْقِيْطِ الْعَجْمِ

ديوان الأعشى «الصبح المنير» (ص ٣٠).

١٧٢- عجمض:

«العَجْمُصِي» ثمرة بَعْمَان.

أقول: لعلها دخيلة.

١٧٣- عجو:

قالوا: و«العَجوة» سائر التمر. «لسان العرب» «عجو»

١٧٤- عذق:

ويقال للنخلة «العَذق» بالفتح، وأما «العِذْق» بالكسر فالقِنْو، ولغة طيء «القنا».

وأهل الكوفة يسمّون العِذْق: الكياسة، والجمع الكبائس، وثلاث كياسات.

وقال الطائي: كبائس النُّخلة قُنِيْها...

١٧٥- عرب:

قال أبو حاتم:

و«التعريب» أن يقطع سعف النُّخل. ويقال للذي يقطعه: «المُعْرَب» أو «العارب».

وانظر (ص ١٠١) «كتاب النُّخل».

أقول: «والعارب» أيضاً هو المصلح للشيء، ومنه «تعريب» البيطار.

١٧٦- عرج:

«العُرجون»، انظر: «أهن» وانظر (ص ٨٧) «كتاب النُّخل».

١٧٧- عرر:

«العُرُ»، انظر: «حثل».

و«المِعرار»: النُّخلة الضعيفة ذات التمر الفاسد.

١٧٨- عري:

قالوا: وإذا أعرى الرجل النُّخل، وذلك أن يجعل تمرها لرجل فيأكله رطباً، فذلك

النخل يُسَمَّى «العرايا»، والواحدة «عَرِيَّة».

ويقال: استعَرَى الناس في كل وجه، أي أكلوا الرطب، ومن ذلك قول سويد بن الصامت:

فليسْتَ بِسَـنْهَاءٍ وَلَا رُجَبِيَّةٍ ولكن عرايا في السنين الجوائح
١٧٩- عسيب:

و«العسيب» انظر: «جرد»

وقالوا: هو «الجريد» إذا نُحِيَ خوصه، وقيل: هو فُوقِ الكَرَب لم يبت عليه الخوص.
قال طرفة بن العبد:

تُطِلْ نساء الحي يعكفن حوله يُلَنّ عسيب من سَرارة مَلْهُمَا
١٨٠- عسو:

وقال أبو حاتم: و«عَسَا» يعسو عُسُوًّا، ثم قيل: يُزهى بعد التّصبيء فيصير زَهُوًّا إذا خَلَصَ لون البُسرة وانظر «زهو» و«صبيء».

١٨١- عشتش:

وقالوا: إذا صَغُرَ رأس النخلة وَقَلَّ سَعْفُهَا فهي «عَشَّة»، وثلاث عَشَات، وهنّ «عَشَاش»، وقال حميد بن ثور الهلالي.

فما ذَهَبَتْ عَرْضاً وَلَا فَوْقَ طُولِهَا من السُّرْحِ إِلَّا عَشَّةٌ وَسَحَوْقُ
«ديوان حميد» (ص ٣٩)

١٨٢- عضد:

قال أبو زيد: وتُسَمَّى النخلة «العِضْدَانة» والجمع «العِضْدان».

وهي «العضيد» إذا صار لها جذع يتناول منه المتناول.

١٨٣- عضر:

قالوا: و«العفر» أول سقية بعد التلقيح.

١٨٤- عقد:

وقالوا: «عقد» البسر و«عقده» استمساكه فلا يحث حتى يطلع النجم.

١٨٥- علق:

قالوا: ويضرب عرق «الغريسة» في الأرض، وتخرج «ليتها» ثم هي «مؤتزة» ثم هي «لقيفة» ثم «عالقة».

١٨٦- عمر:

وقالوا: ما يقع من النخلة من الرطب وقد نضج فهو «العمر» وأنشد أبو زيد:
مالك لا تطعمنا من الهنم وقد أتاك العمر في الشهر الأصم

١٨٧- عمم:

وقالوا: ويقال للطوال: «العَم» والواحدة «عميمة»، قال أحيحة بن الجلاح:
فعمم لعمكم نافع وطفل لطفلكم يؤمل
«كتاب النخل» (ص ٦٢)

١٨٨- عنق:

و«التعنيق» و«المنقة»، انظر: «حلقم».

١٨٩- عهن:

و«العواهن»، انظر: «خفي»

١٩٠- عوق:

و«العواق» انظر: «ردف»^(١).

وجاء في كتاب أبي حاتم: وقال بعض اليماميين: «العواق» واحدتها «عاق» إذا كانت في العُنب الحُضُر، فإذا كانت في الجذع ولا تمس الأرض فهي الراكبة.

١٩١- عيد:

و«العَيْدانة» والجمع «عَيْدان» وهي النخلة الجبارة الطويلة، قال لبيد:

«وابيض العَيْدان والجبار».

وقال المسيّب بن علس:

والأدم كـالعَيْدان آزرهـا تحت الأشاء مكمّم جفلُ

أقول: وقد رأيت أن تكون «عَيْدانة» من بنات الباء لأنني لا الملح فيها معنى «العود»، ولا وجه أن تدرج في «عود» كما جاء في «لسان العرب». وكأنّ صاحب «اللسان» بعد إدراجها في «عود» أشار إلى ما قيل في هذا الأمر فقال:

قال «الأزهري»: من جعل «العَيْدان» فيعالاً جعل النون أصلية، والياء زائدة، ودليله على ذلك قولهم: عَيْدَنْتُ النخلة، ومن جعله فعلاً مثل سَيَحان من سَاحَ يَسِيح جَعَلَ الياء أصلية والنون زائدة.

قال الأصمعي: العَيْدانة شجرة صُلْبَة قديمة لها عروق نافذة إلى الماء، قال: ومنه

(١) لم ترد في «لسان العرب».

هَيْمَان وَعَيْلَان، وَأُنْشَد:

تَجَاوَبْنَ فِي عَيْدَانَةٍ مُرْجَجْنَةٍ مِنْ السُّذُرِ رَوَاهَا الْمَصِيفُ مَسِيلُ

١٩٢- عَيْن:

قال أبو حاتم: و«التعين» هو الإتمار، «كتاب النخل» (ص ١٠٥).

١٩٣- غَبَر:

أقول: و«المغبار» من النخل الرديئة الفاسدة التمر.

١٩٤- غَرَر:

وقالوا: «الغرائر»: النُّخْلَاتُ يشتريهن الرجل يَكْنُ لَهُ، فَإِنْ مِتْنِ أَوْ سَقَمْنَ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ مَوَاضِعِهِنَّ شَيْءٌ مِنَ الْأَرْضِ.

قال أبو حاتم: ذكر هذا الحرف ابن مَطَرُ بْنُ حَرَّاجٍ. «كتاب النخل» (ص ١٠٠).

١٩٥- غَرَس:

«الغَرِيسَةُ»، انظر: «جث».

وقالوا: «الغَرَسُ» ما يُغْرَسُ، و«الغَرِيسُ» ما غُرِسَ، قال الحارث بن حِلْزَةَ:

يَجْبُوكَ بِالزُّعْفِ الْقِيُوضِ عَلَى هَيْمَانِهَا وَالذُّهْمِ كَالغَرَسِ

وقال قيس بن الخطيم:

نَحْنُ بَغَرَسُ الْوُدِيِّ أَعْلَمْنَا مَنَا بَرَكُضُ الْجِيَادِ فِي السُّدَفِ

١٩٦- غَرَض:

قالوا: «الغَرَضُ» هو إِعْجَالُ النُّخْلَةِ لِأَن تَبْتِئَ فَلَئِنْ قَبَقَائِهَا، فَإِذَا فَعَلَتْ النُّخْلَةُ ذَلِكَ، قَطَعَتْ قَبَقَاءَهَا، وَلَقَحَّتْهَا تَلْقِيحًا.

وقال أبو حاتم:

قال ابن رُوَيْشِد: الوليع الذي ينشق عنه الكافور، فهو أبيض كالبرَد، ويقال له: «الغضيض».

وقال الحارث: هو «الغريض»، وقال آخرون: هو الإغريض، وقال الجعدي: ليالي تصطاد الرجال بفاحم وأبيض كالإغريض لم يتلَّم
«كتاب النخل» (ص ٧٤).

١٩٧- غضض:

و«الغضيض»، انظر: غرض.

١٩٨- غمم:

قالوا: إذا وُضع البُسْر في العُسر ثم نُضح بالخل، وجعل في جرة فغم فذلك
«المغموم» و«المغمَن» و«المغمَم»، وأهل نجد يسمونه المُخلَّل.

١٩٩- غمن:

«المغمَن» انظر «غمم».

٢٠٠- غنظ:

قالوا: يُنقل التمر في الزُّبُل حتى يكثر في الخَصَب أو الأوعية. وربما جدَّت النخلة
وهي باسرة بعدما أحلَّت ليخفَّف منها، أو يتخوَّف عليه السُّرَق فيترك حتى يكون تمراً
فيقال: هو رَجيع وغنيط.

أقول: ولم أجد «غنظ» في معجمات العربية.

٢٠١- غين:

قالوا: «الغين» الجماعة من النُّخل، والواحدة «غينة».

٢٠٢- فتل:

قال أبو زيد: والذي في بطن النواة طولاً «الفتيل» «كتاب النُّخل» (ص ٤٩).
وقالوا: هو الخيط المنفتل في شِقِّ النواة، أو هو سَحَاءة، أو قِشْرَة في شِقِّ النواة.

٢٠٣- فتي:

وقالوا في رُتَبِ النُّخْلَة: هي فسيلة حتى ترتفع، فإذا ارتفعت فهي «فَتِيَّة»، والجميع «الأفتاء» حتى تفوت الأيدي.

٢٠٤- فحل:

ويقال للذكر من النُّخل «فُحَال»، والجميع «فُحاحيل»، ويقال أيضاً «فُخْل» والجميع فُحول وفُحولة.

قال أبو حاتم: أنشدنا بعض شيوخنا:

يُطْفَنُ بِفُحَالٍ كَانَ ضَبَابُهُ بطونُ الموالى يومَ عيدٍ تَغْدَتِ^(١)

وانظر «صتم».

٢٠٥- قدم:

وإذا لوْنُ قيل: «أفْضَحَ» البُسْر، وذلك حين تبدو فيه الحمرة، ثم «يُقدِم» وذلك إذا احمرَّ، ويقال: قد «أفدَمَ» البُسْر.

(١) «الضُّباب»: ويقول أهل نجران واليمامة وغيرهم لطلُع النخلة «الضُّباب» وكان هذا أعلى التشبيه، وقال: وطفن بفُحَالٍ كَانَ ضَبَابُهُ

٢٠٦- فدي:

أقول: «الفداء» بمعنى «المُرْتَد» بلغة هَجَر والبحرين.

٢٠٧- فرش:

و«الْفَرَش»، انظر «سف»

٢٠٨- فرض:

قال أبو زيد: «الفَرَض» ثمرة تكون بَعْمَان. لسان العرب «فرض»^(١).

٢٠٩- فرع:

و«قُلَّة» النَّخْلَة رأسها وفرعها وقِمَّتْها.

٢١٠- فسط:

و«الْفَسِيط»: علاق ما بين القمع والنواة، وهو تُفروق التمرة.

٢١١- فسل:

و«الفَسِيلَة»، انظر: أشأ، ويقال للفَسِيلَة «تَنْبِيْة» وهي فسيْلَة حتى ترتفع.

وقالوا: «الفَسائل والفُسلان» صغار النَّخْل أوْل ما تُقْلَع، الواحدة «فَسِيلَة».

و«الافتسال»: أن يُقْتَلَع فسيل النَّخْلَة من أمّه ثم يُغرس في مكانٍ آخر.

(١) وأنشد أبو زيد:

إذا أَكَلْتِ سَمَكاً وفَرَضاً ذهبَ طَولاً وذهبتَ غَرَضاً

«لسان العرب» (فرض).

٢١٢- فصل:

ويقال «فَصَلَ» البُسْر، انظر: «جدر».

٢١٣- فضح:

ويقال: «أَفْضَحَ» البُسْر، انظر «فدم»

٢١٤- فغو:

وقال أبو حاتم: و«الفغا» حطام البرّ، والفاسد من التمر، وقال أحيحة بن الجلاح:
 أَكْتُمْتُمْ تَحْسَبُونَ قَتَالَ قَوْمِي كَأَكْلِكُمُ الْفَغَايَا وَالْهَيْيْدَا
 أقول: والبيت لقيس بن الخطيم. انظر الديوان (ص ٩١).

٢١٥- فقر:

«والتفكير»: أن تحفر بئراً ثلاثاً في ثلاث في خمس، ثم تكبسها بترنوق المسائل
 والدمن .. فيقال: كم «فَقَرْتُمْ»، فيقال: مئة «فقير» أو أكثر أو أقل.. وهذا كله في غرس
 الفسيل، «كتاب النخل» (ص ٥٨).

وفي «كتاب النخل» والكرم للأصمعي: «ما ليلة الفقير إلا شيطان»

٢١٦- فلق:

و«الفوالق»، و«الفواطر»، انظر: «صدع»

٢١٧- فوف:

و«الفوفة»: هي القشرة على النواة، قال أمية بن أبي الصلت:
 لَمْ أَتْلُ مِنْهُمْ فَسِيطاً وَلَا زَبْداً وَلَا فُوفَةً وَلَا قَطْمِيراً

٢١٨- قبيب:

قال الأصمعي: إذا يَبَسَت الرطبة فصارت بين الرطب والتمر فهي «قَابَة»
وقب التمر قبوباً.

٢١٩- قبر:

و«القَبور» من النخل التي تحتشي حَمْلَهَا في قُلْبِهَا، وهي الكبوس والطُروح.

٢٢٠- قثث:

وقال أبو حاتم: فإن «قُثث» بعدما تحمل فهي «القَثِيثة» و«تُقَثُّها» عن أخواتها تُوسِّع
لَهْنٌ، أو يضيق مكانها. «كتاب النخل» (ص ٥٥).

٢٢١- قرح:

و«القِرَواح»، انظر: «سحق»

وقالوا: إذا تجردت النخلة وسَلِسَتْ أي وقع كَرَبُها وطالت فهي «قِرَواح»، والجمع
«قِرَوايح» و«قِرَواح»، قال سويد بن الصامت:

أَذِين وَمَا ذِيْنِي عَلِيٍّ بِمَغْرَمٍ وَلَكِنْ عَلَى الشُّمِّ الْجِلَاءُ الْقِرَواحِ

٢٢٢- قرر:

وقال أبو حاتم: ويقال لأصل النخلة «القَر» و«القَرُو» و«الكُور» «كتاب
النخل» (ص ١٠٠).

وقال أيضاً: ويتخذ القصارون من «القرو» مركناً، وقال الشاعر:

قَتَلُوا أَخَانَا ثُمَّ زَارُوا قَرُونَا زَعَمُوا بَأْسًا لَا نُحْسِنُ وَلَا نَرَى

وَيُتَّخَذُ أَيْضًا لِلنَّبِيذِ، فلذلك قال: «زاروا قَرُونَا».

أقول: وقال الأعشى:

أرمي به البيداء إذ أعرضت وأنست بين القُرو والعاصر

٢٢٣- قرن:

قال أبو حاتم: وإذا صارت النخلة «قُراني» فلا تزال أشاءة حتى يُعلم أذكر هي أم أنثى. (ص ٥٤) و«القرون» هو الفاسد من التمر.

و«القارن»، انظر «ذنب».

٢٢٤- قرو:

انظر: «قرر»

٢٢٥- قصر:

و«القوصرة» انظر «دخل»

أقول: وما نسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

أفلح من كانت له قوصرة يأكل منها كل يوم مرة

جاء في «لسان العرب» قصر

٢٢٦- قطع:

و«القطاع»، انظر «جدد».

و«القطيعي»، والقطيعاء، من أصناف التمر، انظر: «سهريز».

٢٢٧- قطمر:

قال أبو زيد الأنصاري: القشرة على النواة هي «القطمير» والفوفة.

وقال أيضاً: والذي في بطن النواة طولاً هو «الفتيل» ...

أقول: وأستفيد من «القطمير» وغيره من ألفاظ النخل في أدب أصيل في العربية كما كان من «المثل» في الآية ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]، وقوله أيضاً: ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣].

٢٢٨- قعد:

قال أبو حاتم: فإذا صار للنخلة جذع، قيل: قد قَعَدَتْ، وفي أرض فلان من «القاعد» كذا وكذا، والجمع «القواعد» كتاب النخل (ص ٦٠).

٢٢٩- قلب:

أقول: «القلب» أو «الْقَلْب» لغتان، وهما «شحمة» النخلة، والجمع «قِلْبَة وقلوب وأقلاب».

وهو شطبة بيضاء رخصة، ويظهر «القلب» عند قطع رأس النخلة وتجريدها من السعف، وهو الجمار والجامور. «لسان العرب».

٢٣٠- قلع:

و«القُلعة»، انظر «جث».

٢٣١- قلل:

و«القُلّة»، انظر: «فرع».

٢٣٢- قمع:

و«القِمَع»، انظر «نفروق»

٢٣٣ - قمم:

و«القيمة»، انظر «فرع».

٢٣٤ - قناً:

وقال أبو حاتم: وإذا اشتدت حمرة البُسْر فهو الحائط .. فإذا انتهت حمرة فهو «القاني» أقول: قوله: «انتهت حمرة» بمعنى: بلغت الحمرة النهاية، قال الأسود بن يعفر:

من خمر ذي نطفٍ أغنَّ كأنما قنأت أناملهُ من الفِرصادِ
«لسان العرب» (فرصد)

٢٣٥ - قوب:

وقال أبو حاتم: و«القابة» جنة النخل، وهو العِرْض، وذلك إذا التفّ، «كتاب النخل» (ص ٩٨).

٢٣٦ - قيق:

و«القيقاء»، انظر: «جفف».

٢٣٧ - كبس:

و«الكبوس» بلغة أهل الكوفة، وكذلك «الكياسة» بمعنى «العذق».

٢٣٨ - كتل:

و«الكتيلة» هي النخلة، الصغيرة إذا رَحَى جذعها، والجميع «الكتلان» و«المكتل»، انظر «خرف».

٢٣٩ - كثر:

ويقال للجُمارة «الكثرة»، والجمع «كثراً»، وانظر: «جر».

٢٤٠ - كَرَب:

و«الكَرَب» والواحدة «كَرْبَة»، انظر «دبق».

ويقال: خَرَجَ الناس يَتَكَرَّبُونَ، أي يلتقطون ما بقي في «الكَرَب» من التمر، وذلك يُسَمَّى «الكَرَابَة والجُرَامَة» «كتاب النخل» (ص ٩٤).

وقال أبو داود الإيادي:

وهادٍ تقدَّم لا عيب فيه كالجدع شُدَّبَ عنه الكَرَب

٢٤١ - كَرَر:

و«الكَرُّ»، انظر «بَرَبَنْد».

٢٤٢ - كَرِنَف:

و«الكَرَنَافَة»^(١)، انظر «دبق».

٢٤٣ - كَفَأ:

قال أبو حاتم: ويقال: «لنخل مُكْفِي» وأرض «مُكْفِيَة»، والعام كَفَأَ نخل فلان، أي عامٌ تحشيدٌ وتوقير، ومثله تحشك. «كتاب النخل» (ص ٩٤).

٢٤٤ - كَفَر:

و«الكافور»، والجمع «الكوافير» وهو وعاء الطلع، وأهل الكوفة يُسمّون الطلع «الكَفْرَى».

(١) وفي هذا قول القائل:
انْتُمُ جُمَارَةٌ مِنْ هَاشِمٍ والكرانييف سواكم والخطيب

٢٤٥ - كمم:

و«الكِمام»، انظر «خلب».

٢٤٦ - كور:

و«الكَوْر»، انظر: «قرر».

٢٤٧ - لقح:

و«اللِّقَاح»، انظر «أبر».

٢٤٨ - لقط:

و«اللَّقَط»، انظر: «سقط».

٢٤٩ - لقف:

و«اللَّقِيفَة»، انظر: «علق».

٢٥٠ - لمم:

وفي «لسان العرب» والنخلة «المَلِم» و«المَلِمَة» التي قاربت الإِرطاب. وانظر «كتاب النخل» (ص ٦٧).

٢٥١ - لون:

ويقال للنخلة: «اللَّيْنَة» من «اللُّون» «كتاب النخل» (ص ٨٠).

وقال أبو حاتم: قال بعض أهل العلم: «اللَّيْنَة» عند أهل المدينة ألوان الدَّقْل، والدليل على أن «اللَّيْنَة» جماعة لمخل قوله -عز وجل-: ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ [الحشر: ٥].

٢٥٢- مرق:

وقالوا: إذا كثر حمل النخلة ثم نفّضت قيل: «مرقت» وأصاب النخل «مرق».

٢٥٣- مزن:

و«المزنية» النخلة الدقيقة العرجون. «لسان العرب» (مزن).

٢٥٤- مصص:

و«المصاصة» من النخل هي الفاسدة التمر، ومثلها «المصياص». «كتاب النخل» (ص ١٠٦).

أقول: لقد عرض للمعجمات القديمة ومنها لسان العرب ضرب من تداخل الكلم، فقد تكون الكلمة من «الكون» ومن «المكان». وقد فطن لهذا بعض المعاصرين وجعلوه من باب ما أسموه «أصالة التوهم».

وكأنني أنظر إلى «المصاصية» و«المصياص» فألمح التقاء «مصص» و«صاصي» وأجد ما يدفعني إلى هذا من كلام أبي حاتم (ص ٨٠).

«وإذا أراد أهل المدينة أن يلقحوا العجوة، قيل: لّقحوها بالعتيق، والعتيق اسم فحل معروف لا تنفض لخلته ولا «تصاصي» ولا «تُمرق»..»

٢٥٥- معو:

و«المعوة» انظر «سبت».

٢٥٦- مكر:

و«المكرة» هي الرطبة إذا أرطبت وغشيتها الإثمار، وفيها شدة. «كتاب النخل» (ص ٧٩).

٢٥٧- مهو:

و«المهوء»، انظر «سبت».

٢٥٨- نبت:

و«التبينة»، انظر «فسل».

٢٥٩- نبيج:

و«النابجي» تمرّة شديدة السّواد. «كتاب النّخل» (ص ٩١).

أقول: «وهذا فيما أنشده أبو زيد من قول الراجز:

نغرس فيه الزاد والأعرافا

والنابجي مُسدِّفاً إسدافاً «تاج العروس» (نبيج).

وأقول أيضاً: أن «الزاد» في قول الراجز هو «الأزاد» وهو فارسي معرّب، و«الأعراف» من أصناف التمر.

٢٦٠- نبيق:

و«النبيق» من النّخل الملتفّ المصطَفّ المسطّر. «كتاب النّخل» (ص ٩٨).

٢٦١- نبل:

قل أبو زيد: «النبل» هو الفسيل. «كتاب النّخل» (ص ٥٤).

أقول: لم أهتمد إلى «النبل» في المعجمات، وقد وجدت «النبل» بفتحيتين وهو الضخم والخسيس ولم يكن خاصّاً بالنّخل. «لسان العرب».

٢٦٢- نجم:

و«النّجمة»، انظر: «خنص» «كتاب النّخل» (ص ٥٣).

٢٦٣- نجو:

وقال أبو حاتم: يقال، قد «استنَجى» الناسُ إذا أصابوا الرُّطْبَ. «كتاب النُّخل» (ص ٩٣).

٢٦٤- نسغ:

ويقال في النُّخلة إذا أخرجت قُلْباً أو قُلَيْنين قد «أنسَغَت» و«أنشَصَت». «كتاب النُّخل» (ص ٥٤).

وقالوا: إذا كثر خوص النُّخلة الصغيرة قيل قد عَسَبَت وهي عَسِيية، ثم هي «نَسِيغة» أي نَسَغ أصلها في الأرض. المصدر السابق (ص ٥٤، ٦٠).

٢٦٥- نسق:

وقالوا: «أنسَقَت» النُّخلة إذا أخرجَت قَلْبَةً جُدُداً. المصدر السابق (ص ٦٥).

٢٦٦- نشر:

وقالوا: إذا خرجت للفسيلة أو النُّخلة الصغيرة سَعَفَات بعد غرسها قيل: «انتشرت» وهي «منتشرة»، ويقال لفلان «المنتشر» كذا وكذا. المصدر السابق (ص ٥٩، ٦٠).

٢٦٧- نشص:

وقالوا: «أنشَصَت»، انظر «نَسغ».

٢٦٨- نصف:

وقالوا: نخلة «مُنصَّفة» إذا بَلَغَ الإِرطاب نصفها. انظر: «جزع».

٢٦٩- نفض:

و«النَّفَض»، انظر «خردل».

٢٧٠- نفسي:

و«النَّفْيَة»، انظر «سمم».

٢٧١- نقح:

و«الْمُنْقَح» من النُّخْل ما قد نُقِيَ، وهو أن يحذف منه سَعْفُه وَكَرْبُه، «كتاب النُّخْل» (ص ١٠٠).

قال أبو حاتم: قالت العرب: خير الشُّعْر الحَوْلِيُّ الْمُنْقَح، أي الذي أتى عليه حَوْل فنُقِيَ من العيوب. المصدر السابق (ص ١٠٠).

٢٧٢- نقر:

و«النُّقِير» هو النُّقْرَة في ظهر النواة، وتُسَمَّى أيضاً «النَّقِيرَة».

وقالوا في «النُّقِير» إنه سُرَّة العَجَمَة.

٢٧٣- نقش:

قال أبو حاتم: إذا ضُرِبَ الْعِذْقُ بِشَوْكَةٍ فَارْطَبَ لَذْلَكَ، فَذَلِكَ الرُّطْبُ يُقَالُ لَهُ: «الْمَنْقُوش» وقد «نُقِشَ» نقشاً.

وجاء في الحديث النُّهْيُ عَنْ «نَقَشِ» الْبُسْرِ.

أقول: وجاء هذا كله في كتاب الأصمعي «في النُّخْل والكرم» (ص ٦٧).

٢٧٤- نقض:

أقول: و«النَّقْض» مثل «النَّفْض»، انظر «سَقَط».

٢٧٥- هجر:

وقالوا: لُحْلَة «مُهْجَرَة» إذا أفرطت طولاً، وقال الراجز.

يُعَلَى بِأَعْلَى السُّحُقِ الْمَهَاجِرِ مِنْهَا عِشَاشُ الْهَذُودِ الْقِرَاقِرِ.
وقال الأصمعي: وكل شيء أفرطَ طولاً فهو مُهْجِرٌ.

٢٧٦- هجن:

وقالوا في النَّخْلَةِ إِذَا حَمَلَتْ وهي صغيرة إنها من «المهتجنات»، وقالوا أيضاً: هي «الهاجن» وهنّ «الهواجن».

٢٧٧- هراً:

و«الهراء»، انظر «جفف».

٢٧٨- هرف:

ويقال للنخلة إِذَا عَجَلَتْ «هَرَفَتْ» تهريفاً.

أقول: وليس «التهريف» خاصّاً بالنَّخْلِ بل ورد في كلامهم: رأيت قوماً «يَهْرَفُونَ» في الصلاة، أي يُعَجِّلُونَ.

وأقول: وفي لغة العامّة في العراق كل ما يُبَكِّر من الثمر والفاكهة والنبات يدعى «هَرَفِيّاً».

٢٧٩- همد:

قالوا: و«الهامدة» من الرُّطْبِ من صار ذا قِشْرٍ من شدّة الإرتطاب، والجمع «هامد».

٢٨٠- هنم:

قالوا: «الهنم» الثمر، والواحدة «هنمة».

٢٨١- وخخ:

قالوا: «الوخواخ» هو التمر المنتفخ الذي ليس له لحاء، وإنما هو قشر، ونوى.

٢٨٢-ودن:

قالوا: «الْوَدْن» هو الرُّشّ، ونوى «مُودون» و«وَدِين» «لسان العرب».

٢٨٣-ودي:

وفيه «الْوَدِيَّة» انظر «ركز».

٢٨٤-وسط:

قالوا: نخلة «وَسُوط» التي تجيء دون «الطُّروح»، انظر «طرح» وهي خير النُّخل، لا ينشب ثمرها.

٢٨٥-وسق:

وقالوا: هي «واسقة» وهُنَّ «أواسق» إذا كان عليها حملها.

أقول: و«الْوَسَق» بمعنى الحمل للنخل وغيره.

٢٨٦-وشج:

و«الْوَشْجَة»، انظر «دخل».

٢٨٧-وضع:

وقالوا: وإذا لم يبلغ التمر اليُبُس كله فوضع في جَوْنٍ أو جرارٍ فذلك «الوضع».

٢٨٨-وقب:

و«الْوَقْب» من التمر الفاسد.

٢٨٩-وقر:

وقالوا: عَذَق «مُوقِر»، وإذا كانت عادة النُّخلة أن «تُوقِر» فهي «ميقار» والجمع «مواقير».

٢٩٠- وقل:

و«الوَقْل» أصول الكَرْب، واحداًتها «وَقْلَة»، وأنشدوا:
لم يمنع الشرب منها غير أن نَطَقَتْ حمامةً في غُصُونِ ذاتِ أوقالٍ

٢٩١- وكت:

قالوا: إذا بَدَتْ نَقَطٌ من الإرباط قيل: قد «وَكَّتَتْ»، وبُسْرَة «مُوكَّتَة».

٢٩٢- ولع:

و«الْوَلِيع»، انظر «طلع» و«عضض».

ومما استدركه في «عذق» و«رجب» ما ورد في المثل.

«أنا جُذَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ وَعُذَيْقُهَا الْمَرْجُبُ».

أقول: و«العُذَيْق» تصغير «العَذَق» وهو النُّخْلَة. و«الْمَرْجُبُ». الذي جعل له رَجْبَة وهي دعامَة تُبْنَى حولها من الحجارة، وذلك إذا كانت النُّخْلَة كريمة وطالت تخوفوا عليها أن تنقعر من الرياح والعواصف.

قال أبو عبيد: هذا قول الحُبَاب بن المنذر بن الجموح الأنصاري، قاله يوم السقيفة عند بيعة أبي بكر، يريد أنه رجل يستشفى برأيه وعقله.

«مجمع الأمثال» للميداني (ط. الخالجي ١٩٩٧) (١/٥٢-٥٣).

توالي المنج في أسماء ثمار النخل ورتبة البلج

لبدر الدين القرافي المالكي

ترجمة المؤلف صاحب هذه «الرسالة»:

هو محمد بن يحيى بن عمر ... بدر الدين القرافي: فقيه مالكي، لغوي، من أهل

مصر^(١). ولي قضاء المالكية فيها.

له كتب منها «القول المأنوس بتحرير ما في القاموس» وهو كتاب مطبوع.

وله كتب أخرى في الفقه والتراجم. وله «شرح» للموطأ^(٢).

انظر الأعلام للزركلي (الطبعة الثالثة) (٨ / ١٢).

مصورة المخطوطة

إنها من شريط (ميكروفلم) في خزانة مخطوطات مكتبة الجامعة الأردنية، ورقمه (٣٥٨) يشتمل على أربع صفحات، خطها مغربي لا تتيسر قراءته، وأصله في الخزانة العامة في الرباط برقم (٥١٩٤).

وقد كرم أخي الأستاذ إبراهيم شيوخ فانتسخ هذه الصفحات الأربع بخطه الجميل فتيسر لي العمل، وإنني لأشكره أوفى الشكر.

توالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبة البلح^(٣)

أقول: ليس صاحب الرسالة من أهل النخل، ولكنه لغوي له شيء في الكلام على

(١) أقول: كأنني أرى أنه أقام بمصر فكان له هذا الذي أثبتته الأستاذ خير الدين الزركلي معتمداً على مصادر ترجمته. إنه كما في أول رسالته هذه قد أشير إليه إلى أنه من ذرية الشيخ ابن أبي جرة.

أقول: ولنا فيمن عُرف بهذه الشهرة عالمان أولهما:

محمد بن أحمد بن عبد الملك بن أبي جرة، فقيه مالكي من أعيان، الأندلس، المتوفى سنة (٥٩٩هـ).

والثاني عبداً لله بن سعد بن سعيد الأزدي الأندلسي، مالكي من أهل الحديث المتوفى سنة (٦٩٥هـ).

انظر من مصادر الأول: «شذرات الذهب» (٤ / ٣٤٢)، و«التكملة لابن الأبار» (ص ٢٧٦).

وانظر من مصادر الثاني: «البداية والنهاية» (١٣ / ٣٤٦).

وعلى هذا فليس لي أن أقطع إلى أي من الرجلين يتسبب صاحبنا القرافي.

(٢) انظر في ترجمته: «خلاصة الأثر» (٤ / ٢٥٨)، و«معجم المطبوعات» (٢ / ١٥٠٢).

(٣) أقول: كان هذه «الرسالة» شيء من المصنف المطبوع للمؤلف الذي لم أقف عليه، وهو «القول المأنوس بتحرير ما في القاموس».

«القاموس» علماً أن الذين استدركوا على القاموس فأضافوا أو صحّحوا أو زادوا شيئاً مفيداً جبهة من أهل العلم فصنفوا كتباً أو رسائل. وقد استمرت هذه الصنعة طوال عصور، وحسبك أن تعرف أن الزبيدي الحسيني قد كان منه المعجم الشهير الذي وسمه بـ«تاج العروس في شرح القاموس»، وفيه ما استدركه في كلّ مادة.

قلت: إن مؤلف هذه الرسالة ليس من أهل النُخل كما عرفت من سيرته، فهو مالكيّ، وليس من شكّ أنه إفريقيّ سكن مصر وولي قضاء المالكية فيها. ومن المعلوم أن مذهب مالك مذهب عامة الأفارقة من مغاربة وتوانسة، وقد عرف هؤلاء وغيرهم من الأندلسيين مذهب الإمام مالك وشاع بينهم ولكثير من هؤلاء إقامة في مصر قد تكون بسبب ذهابهم لأداء فريضة الحج فيقيمون في مصر إمّا قبل أداء هذه الفريضة، وإمّا بعد أدائها ورجوعهم.

وكان هذه «الرسالة» شيء من كتاب له وسمه بـ«القول المأنوس بتحرير ما في القاموس»، وقد عرفت مما قرأت في «معجم المطبوعات» أنه مطبوع ولكنني لم أقف عليه.

الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من أقام به لواء الحمد ومجده.

وبعد فهذه رسالة سمّيتها بـ«توالي المنح في أسماء ثمار النُخل ورتبة البلّح»، دعاني إلى ذلك من له عليّ حقّ الولاية، وفريد الغاية، ووافر الرعاية، وقلت داعياً لجنابه: [من الرجز]

دامَ عماداً لذوي الفضل على مَرِّ الدهور مولياً خيرَ مَنْحٍ
تجنّى ثمار الفضل من أشجاره رَطْباً جَنِيّاً بعد بُسْرِ وبلّح

وذلك عندما جرّى الكلام في عبارة «القاموس»، وأنّ فيها تخالفاً [كذا] في هذا

المقام وبا لله التوفيق:

قال [الجوهري] في «الصحاح»:

«الْبَلَح هو البُسْر، لأنَّ أَوَّلَ الثَّمَرِ طَلَعَ ثُمَّ خَلَالَ ثُمَّ بَلَحَ ثُمَّ بُسِرَ ثُمَّ رُطِبَ ثُمَّ تَمَرَ، الواحدة بَلَحَةٌ»^(١) ونحوه قول صاحب القاموس فيه:

«البلح (محرّكة) بين الخلال والبُسْر».

ومؤدّي كلامهما أن «الْخَلَالَ» رتبة سابقة على «الْبَلَح» ووقع في القاموس في باب اللام ما يخالف ذلك، إذ قال: «خَلَالَ» كسحاب: الْبَلَح، وفيه تجوّز.

وقد نقل الشيخ أبو الحسن الشاذليّ في^(٢) شرح لغات مختصر الشيخ خليل^(٣) عن أهل اللغة:

أن رتبته أعني الْبَلَح قبل البُسْر وبعد الخلال^(٤) كما هو في «الصحاح» و«القاموس» في باب الحاء، ونصّه، البُسْر وهو «الْمَنْصَف» بضمّ الميم وفتح النون وكسر الصاد المهملة المشدّدة، واحدته بُسْرَةٌ بإسكان السين وضمّها^(٥).

قال أهل اللغة: أَوَّلَ ثَمَرِ النَّخْلِ طَلَعَ وكافور ثم خَلَالَ (بفتح الحاء المعجمة واللام المخفّفة) ثم بَلَحَ، ثم بُسِرَ ثم رُطِبَ ثم تَمَرَ.

ولم يذكر [أي الفيروز آبادي] في القاموس أيضاً الْبَلَحَ في باب الراء عندما تكلم على البُسْر ونصّه هناك:

(١) وأقول أيضاً أن ما يبدو لي من هذه «الرسالة» كونها تتدرج مع المصنفات المعروفة التي انتصر فيها أصحابها للجوهري في ردّهم على صاحب القاموس الذي أشار إلى تخطئة الجوهري فذكر هذا وذكر الصواب في كثير من موادّ «القاموس المحيط».

(٢) هو عليّ بن عبد الله بن عبد الجبار .. أبو الحسن، رأس الطائفة الشاذلية من المتصوفة. المتوفى سنة (٦٥٦هـ) انظر: «الأعلام للزركلي» (الطبعة الثالثة ١٢٠/٥).

(٣) هو خليل بن إسحاق بن موسى .. فقيه مالكي، من أهل مصر. وكتابه «المختصر» في الفقه، مطبوع، المتوفى سنة (٧٧٦هـ) انظر «الأعلام للزركلي» (٢/٣٦٤).

(٤) أقول هو «الْخَلَالَ» بفتح الحاء، وليس بالكسر كما ورد في الأصل.

(٥) أقول: من سهو كاتب الرسالة قوله هنا: بإسكان الميم وضمّها.

وقول الجوهري: **أَوَّلُ البُسْرِ** طَلَعَ ثم خَلَّال إلى آخره غير جيّد. والصواب:
أَوَّلُهُ طَلَعَ فإذا انْعَقَدَ فسياب، فإذا اخْضُرَّ واستدارَ فجَدَّال وسَراد و خَلَّال، فإذا كَبُرَ
 شيئاً فَبَغَوْا، فإذا عَظُمَ فَبُسِرَ، ثم مُخْطَمٌ ثم مَوَكَّت، ثم تَذَنُوبٌ ثم جُمُئَة ثم تُعَدَّة
 وصالِح وخالعة فإذا انتهى نُضِجَهُ فَرُطِبَ ومَعَد ثم تَمُر. وبسطت الكلام في ذلك في
 «الروض المسلوب»^(١).

والذي للقاضي عياض^(٢): درجات النخل سبعة.
 الطَّلَع والإغريض والبَلَح والبُسْرُ والزهُو والرطب والتمر. وهذا مذهب أكثر أهل
 اللغة. وقوم يجعلون البُسْر بعد الزهُو، وهو الذي يستعمله الفصحاء.
 والزهُو ابتداء طيب النخل واصفراره واحمراره، ويقال فيه: أَزْهَى يُزْهِي.
 وجاء في بعض روايات الحديث: «يزهُو»، وقالوا: لا يَصِحَّ وقال أبو زيد: زهَى
 وأزهى. ولم يعرف للأصمعي^(٣).

وقد نَظَّمْتُ ما رَتَّبَهُ في «القاموس» فقلتُ:
 لَقَدْ عُدْتُ في «القاموس» عَشْرًا وواحدًا لَأَسْمَا ثَمَارِ النُّخْلِ قَدْ صَحَّ مَحْسُوبُ
 فَأَوَّلُهُ طَلَعَ سِيَابٌ خَلَّالُهُ وَيُعَقِّبُهُ بُسْرٌ مُخْطَمٌ مَجْنُوبُ
 مَوَكَّتٌ مَسْبُوقٌ الْمُخْطَمُ قَدْ أَتَى عَلَى وَفْقٍ تَرْتِيبٍ وَيَتْلُوهُ تَذَنُوبُ
 جَهِيْسُهُ يَتْلُوهُ وَتَعْمَرَةُ بَعْدَهُ كَذَا رُطْبٌ تَمُرٌ بِهِ ثُمَّ مَطْلُوبُ^(٤)

(١) لم يرد «الروض المسلوب» بين مصنفات الفيروزآبادي في ترجمته.
 (٢) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبيعي، أبو الفضل، من أئمة الحديث ومن أعلم
 الناس بكلام العرب وأتسابهم وأيامهم، وهو صاحب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، وهو كتاب
 مطبوع مشهور، ومصنفات أخرى، توفي سنة (٥٤٤هـ).
 انظر «فيات الأعيان»، و«قضاة الأندلس».
 (٣) أقول: وفي كتاب النخل للأصمعي: إذا ظهرت فيه الحمرة قيل: أزهى.
 وقد جاء في أدب النخل: أزهى النخل وزها زهُوًا بمعنى تلون بمجرة أو صفرة. وقال ابن الأعرابي زها
 النبت يزهُو إذا نَبَتَ قَمَرُهُ. وأزهى يُزْهِي إذا احْمَرَّ.
 (٤) أقول: تفصيل هذه الرتّب في «كتاب النخل» لأبي حاتم السجستاني (دار الرسالة بيروت وتحقيق إبراهيم السامرائي)

و«مَجْنُوب» صفة لمخْطُء لا معدود، وأسقطت «بغر» لكونه في حكم الخلال.
وقد نظمت ما رتبته القاضي عياض، فقلت:

وأُسْمَا ثَمَارِ النَّخْلِ سَنِعَ كَمَا حَكَى عِيَاضُ زَكَا مَنُوي^(١) وَقَدْ صَحَّ مَعْدُودُ
فَأَوَّلَهَا طَلَعٌ وَإِغْرِضَ بَعْدَهُ كَذَا بَلَحٌ بُسْرَبُهُ طَابَ مَعْدُودُ
وَيَرْدِفُهُ زَهْوٌ كَذَا رُطَبٌ خِلَالُ وَيُعَقِّبُهُ تَمْرَبُهُ ثُمَّ مَقْصُودُ

وقد نظمت ما رتبته الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى، فقلت:

وأُسْمَا ثَمَارِ النَّخْلِ فِي الْعَدِّ سَبْعَةٌ حَكَاهَا بَلِيغٌ طَيِّبٌ اللَّهُ مَثْوَاهُ
فَطَلَعَ وَكَافُورٌ خِلَالٌ مُرْتَبَأٌ كَذَا بَلَحٌ بُسْرُوقٌ وَقَدْ طَابَ عُلْوَاهُ
كَذَا رُطَبٌ تَمْرَبُهُ ثُمَّ أَمْرَهَا وَأَهْلُ اللَّغَا قَالُوهُ: لَا تَعُدُّ مَجْرَاهُ^(٢)

(١) كذا ورد في البيت وليس لي أن أصل إلى المراد أيكون من الفعل «نوي» أو «أنسوي» أو يكون شيئاً آخر غاب عني؟ وقد ذهبت إلى هذا لأن الأمر يتصل بالنخل، وللنواة مكان في هذا.

وإذا كان هذا فما معنى «معدود»؟ أو «مقدود»؟

ولي أن أقول: أن هذه الأبيات لا تدلّ على أن القرافي يحسن هذا الضرب الصعب من الفن وهو الشعر.
(٢) وقد ختمت هذه الرسالة بهذه العبارة: تَمَّتِ الرِّسَالَةُ الْمَقِيَّةُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَحَسَنِ تَوْفِيقِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي صَفَرِ سَنَةِ (١٣٠٠هـ)

